العدوان الحوثي في ميزان الشريعة



التوحيد

المغالاة في المهور
خروج عن مقاصد الشرع

جمادى الآخرة ١٤٤٨ هـ ◆ نوفمبر ٢٠٢٦ ◆ الثمن ١٠ جنيهات

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جمعية أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٦٦ السنة السادسة والخمسون - جمادى الآخرة ١٤٤٨ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

التبيان في عداوة الصوفية للأوطان

Upload by: altawhedmag.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله



صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبدالمجيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.
للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

السلام عليكم

تسعون يومًا على رمضان

تفصلنا عن رمضان تسعون يومًا، ثم يهلُّ هلال اليُمْن والبركات، وتشرق شمس الفضل والخيرات، فما أعظم النجاح في الظفر بخيراته! وأكرم بمن صار من الفائزين بكراماته!

ولكن لماذا نستعد لرمضان من الآن؟

لأنه مصفاة نفسية، ومحطة زاد إيمانية، ومدرسة تربوية نموذجية، ومحفل لطاعات كثيرة العوائد والأجور، وزمن يتفضل الله فيه على عباده بأفضل مما يتفضل عليهم في سائر الشهور، فهو شهر النفحات الإلهية الكبرى، والعطايا الربانية العظمى، فحريٌّ بنا أن نتعرض لها، ونحرص على الفوز بها.

عَنْ أَنَس بْن مَالِك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «اطْلُبُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ».

وهذه تذكرة لنستحضر النفحات الرمضانية ونستعد من الآن بمحاسبة النفس والإقبال على الطاعات.

نسأل الله أن يبلغنا وإياكم شهر الخيرات والبركات.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

مطابع الأمير التجارية

Upload by: altawhedmag.com



فهرس العدد

العدوان الحوثي في ميزان الشريعة
الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
مدخل إلى العقيدة د.عبد الله شاكر ٨
أسئلة القراء عن الأحاديث
الشيخ مجدي قاسم (رحمه الله) ١١
الاطمئنان بذكر الله تعالى
أ. عبد العزيز مصطفى الشامي ١٤
تعلمت من رسول الله د. جمال عبد الرحمن ١٧
بناء السدود على الأنهار د. جمال المراكبي ٢٠
واحة التوحيد د. علاء خضر ٢٤
باب التراجم أ/ ربيع محمود ٢٦
التماثل بين الجزاء والعمل أ. د محمد حامد ٢٨
فضائل الذاكرين لله تعالى
الشيخ /صلاح نجيب الدق ٣٢
ما أيسره على اللسان وأثقله في الميزان!
الشيخ/ عبده أحمد الأقرع ٣٥
المغالاة في المهور د. أحمد زكى ٣٩
الدرر الحسان في وصايا الصحابة
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٢
الموت والحياة
الشيخ /ابراهيم حافظ رزق ٤٧
الصوفية واللا معقول!
الشيخ/مصطفى البصراتي ٥٠
التبيان في عداوة الصوفية للأوطان
د/ أحمد بن سليمان أيوب ٥٥
من روائع الماضي: واقع ووعد
الشيخ/محمد صفوت نور الدين ٥٩
زواج الرسول من أم سلمة د/سيد عبد العال ٦٢

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالاً ، الإمارات ١٢ درهما ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالاً ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

Upload by: altawhedmag.com

العدوان الحوثي في ميزان الشريعة

إعداد فضيلة الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإنه لا يخفى عليك- أيها القارئ الكريم- ما يدور اليوم في العالم من اعتداءات على المدنيين في مواطن كثيرة، ولعل أبرز هذه الاعتداءات- شبه المستديمة- اعتداء اليهود على الفلسطينيين، ولا غرابة في ذلك، وليس هذا بجديد عليهم، فقد قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ (المائدة: ٨٢)، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ومباهتة للحق، وغمط للناس، وتنقص بحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء، حتى هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة، وسحروه وألّبوا عليه أشباههم من المشركين- عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة».

Upload by: altawhedmag.com

ومما يندى له الجبين أن يشهد العالم اليوم اعتداءات عسكرية من الحوثين على المملكة العربية السعودية، بل وعلى أهل وطنهم في اليمن، بل طالت هذه الاعتداءات بإرسال مسيرات إلى الحرمين الشريفين.

والحوثيون هم جماعة ظهرت في محافظة صعدة جنوب اليمن، سموا أنفسهم بجماعة أنصار الله، ويعتنقون الفكر الشيعي، متأثرين بالثورة الإيرانية وأفكارها السياسية، ولهم تواصل مع إيران، حتى استخدمتهم إيران كأداة لحربها على أهل السنة في اليمن ومن حولها.

ويشهد العالم على ما تقدمه إيران من دعم كبير لهم، فهم يحققون أهداف الثورة الإيرانية في اليمن ومن حولها، وقد كان للخراب العربي الذي يقال له الربيع العربي دور بارز في سيطرة الحوثين على العاصمة صنعاء. ولتحقيق مخططهم في المنطقة دخلوا في مواجهات مسلحة مع الحكومة اليمنية حتى سيطروا على العاصمة صنعاء.

وشريعة الإسلام تنظم علاقات الناس ببعضهم حتى يعيش الناس في أمان وسلام، حتى لو اختلفت عقائدهم، قال الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة: ٨)، وقد تعامل صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب وغيرهم أحسن معاملة، حتى إنه عاد الغلام اليهودي في مرضه، وكانت زيارته صلى الله عليه وسلم سببًا في إسلام الغلام. والله تعالى نهى حتى عن سب آلهة المشركين، قال تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ١٠٨)، قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى ناهيًا رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين سب إله المؤمنين وهو الله الذي لا إله إلا هو.

> شريعة الإسلام تنظم علاقات الناس ببعضهم حتى يعيش الناس في أمان وسلام، حتى لو اختلفت عقائدهم

وما يقوم به الحوثيون ما هو إلا اعتداء على الآمنين من الرجال والنساء والأطفال، بل والمعتمرين، وبل واستهداف المطارات والمنشآت المدنية بلا مبرر سوى الخلافات السياسية والأحقاد المذهبية.

ومعلوم أن المملكة العربية السعودية يعيش على أرضها جنسيات مختلفة ممن أصابهم هذا الاستهداف، فكم وقع من ضحايا من جنسيات مختلفة جراء استهداف مطار الملك خالد من العاملين والمقيمين، بل ومن المعتمرين، فأين هم من الإسلام الذي حرم الاعتداء على غير المحاربين حتى في حال الحرب!! قال الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: ١٩٠).

وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله قول ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري القول في تفسير الآية: «أي قاتلوا في سبيل الله

Upload by: altawhedmag.com

ولا تعتدوا، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي عن المثلة والغلول وقتل النساء والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال منهم والرهبان أصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة».

وفي صحيح مسلم من حديث بريدة الأسلمي: كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَ لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا». صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان من أهم مقاصد الشريعة حفظ النفس فإن الخلافات السياسية لا تبرر الاعتداء على المدنيين، بل يحرم مجرد ترويع المسلم ولو لمجرد المزاح، فقد بوّب أبو داود في «سننه»، باب من يأخذ الشيء على سبيل المزاح، ساق فيه حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا».

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

وجاء في شرح المنهاج: فيه تأكيد لحرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله صلى الله عليه وسلم: «وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ». مبالغة في إيضاح عموم في كل أحد.

وسواء كان هذا هزلاً ولعبًا أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولأنه قد يسبقه السلاح، كما صرح في الرواية الأخرى. ولعن الملائكة يدل على أنه حرام، بل إن الإسلام راعى ما هو أبعد من ذلك، فحرم ترويع الحيوان، فقد روى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً (طائر كالعصفور) مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ (ترفرف)، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا».

> وإذا كان من أهم مقاصد الشريعة حفظ النفس فإن الخلافات السياسية لا تبرر الاعتداء على المدنيين، بل يحرم مجرد ترويع المسلم ولو لمجرد المزاح

وبعدُ: فإن واجب المسلمين أن ينصروا المظلوم كل حسب قدرته، فالحكومات تتعاون للإصلاح بكل طرقه، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩)، وعامة المسلمين يلجئون إلى الله تعالى سائلين إياه أن يحفظ بلاد الحرمين واليمن ومصر وسائر بلاد المسلمين من شر الفتن والخلافات والحزبيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

Upload by: altawhedmag.com

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب



قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (الأحزاب: ٥٣- ٥٦).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تحريم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على غيره:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» تَكْرَارٌ لِلْعِلَّةِ وَتَأْكِيدٌ لِحُكْمِهَا، وَتَأْكِيدُ الْعِلَلِ أَقْوَى فِي الْأَحْكَامِ (الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٨/١٤)، أَيْ: مَا صَحَّ لَكُمْ وَلَا اسْتَقَامَ أَنْ تُؤْذُوهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ، وَمِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ دُخُولُ بُيُوتِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنْهُ، وَاللُّبْثُ فِيهَا عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي يُرِيدُهُ، وَتَكْلِيمُ نِسَائِهِ

Upload by: altawhedmag.com

مِنْ دُونِ حِجَابٍ، «وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا» أَيْ: وَلَا كَانَ لَكُمْ ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لِأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَحِلُّ لِلْأَوْلَادِ نِكَاحُ الْأُمَّهَاتِ. (فتح القدير: ٤/٢٩٨).

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَالَ حِينَ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُمَّ سَلَمَةَ بَعْدَ أَبِي سَلَمَةَ: مَا بَالُ مُحَمَّدٍ يَتَزَوَّجُ نِسَاءَنَا! وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ لَأَجَلْنَا السِّهَامَ عَلَى نِسَائِهِ. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ فِي هَذَا، فَحَرَّمَ اللَّهُ نِكَاحَ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَجَعَلَ لَهُنَّ حُكْمَ الْأُمَّهَاتِ، وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ صلى الله عليه وسلم تَمْيِيزًا لِشَرَفِهِ، وَتَنْبِيهًا عَلَى مَرْتَبَتِهِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَزْوَاجُهُ صلى الله عليه وسلم اللَّاتِي مَاتَ عَنْهُنَّ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ نِكَاحُهُنَّ، وَمَنِ اسْتَحَلَّ ذَلِكَ كَانَ كَافِرًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا»، وَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ فَقَالَ: «إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)»، يَعْنِي أَذِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَوْ نِكَاحَ أَزْوَاجِهِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ الْكَبَائِرِ، وَلَا ذَنْبَ أَعْظَمَ مِنْهُ. (الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٢٣٠).

إحاطة علم الله تعالى بكل شيء:

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ بِإِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، لِيَحْذَرُوا أَنْ يُخْفُوا فِي صُدُورِهِمْ أَذِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ تَعَالَى: «إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤)» أَيْ: إِنْ تُظْهِرُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ شَيْئًا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مُرَاقَبَةِ النِّسَاءِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، أَوْ أَذًى لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِقَوْلٍ: لَأَتَزَوَّجَنَّ زَوْجَتَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، «أَوْ تُخْفُوهُ» أَوْ تُخْفُوا ذَلِكَ فِي أَنْفُسِكُمْ، «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤)» وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ. (جامع البيان: ٢٢/٤١).

الترخيص للنساء في إبداء زينتهن لمحارمهن:

وَلَمَّا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النِّسَاءِ أَنْ يَحْتَجِبْنَ عَنِ الرِّجَالِ، وَفَرَضَ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنِ الْكَلَامِ مَعَ النِّسَاءِ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، رَخَّصَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَحَارِمِ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى النِّسَاءِ، وَرَخَّصَ لِلنِّسَاءِ أَنْ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ لِلْمَحَارِمِ، فَقَالَ تَعَالَى: «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)».

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَالْآيَةِ الَّتِي سَبَقَتْ فِي سُورَةِ النُّورِ، وَهِيَ: «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

Upload by: altawhedmag.com

أبنائهنَّ أو أبناء بُعولتهنَّ أو إخوانهنَّ أو بني إخوانهنَّ أو بني أخواتهنَّ أو نسائهنَّ أو ما ملكت أيمانهنَّ أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهنَّ ليعلم ما يخفين من زينتهنَّ وتوبوا إلى الله جميعًا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون» (النور: ٣١).

ولَمْ يَذْكُرْ مِنْ أَصْنَافِ الْأَقْرِبَاءِ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ، لأنَّ ذِكْرَ أَبْنَاءِ الْإِخْوَانِ وَأَبْنَاءِ الْأَخَوَاتِ يَقْتَضِي اتِّحَادَ الْحُكْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمَّا رَفَعَ الْحَرَجَ عَنْهُنَّ فِيمَنْ هُنَّ عَمَّاتٌ لَهُمْ أَوْ خَالَاتٌ، كَانَ رَفْعُ الْحَرَجِ عَنْهُنَّ فِي الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ كَذَلِكَ، وَأَمَّا قَرَابَةُ الرَّضَاعَةِ فَمَعْلُومَةٌ مِنَ السُّنَّةِ (التحرير والتنوير: ٩٦/٢٢)، فَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ». (صحيح البخاري: ٢٦٤٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي الْقُعَيْسِ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَقُلْتُ: لَا آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ فِيهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَإِنَّ أَخَاهُ أَبَا الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي؟! عَمُّكِ. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ؟! فَقَالَ: ائْذَنِي لَهُ فَإِنَّهُ عَمُّكِ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ». (صحيح البخاري ٤٧٩٦).

حثّ النساء على تقوى الله:

وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الرُّخْصَةَ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ، وَانْجَزَمَتِ الْإِبَاحَةُ، عَطَفَ بِأَمْرِهِنَّ بِالتَّقْوَى عَطْفَ جُمْلَةٍ، «وَاتَّقِينَ اللهَ»، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْإِيجَازِ، كَأَنَّهُ قَالَ: اقْتَصِرْنَ عَلَى هَذَا، وَاتَّقِينَ اللهَ فِيهِ أَنْ تَتَعَدَّيْنَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَخَصَّ النِّسَاءَ بِالذِّكْرِ وَعَيَّنَهُنَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ لِقِلَّةِ تَحَفُّظِهِنَّ وَكَثْرَةِ اسْتِرْسَالِهِنَّ.

ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)» (الجامع لأحكام القرآن: ٢٣١/١٤)؛ يَشْهَدُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا، وَيَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ، وَيَرَى حَرَكَاتِهِمْ، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَتَمَّ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ. (تيسير الكريم الرحمن: ٢٤٤/٦). كَمَا قَالَ تَعَالَى: «أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)» (النجم: ٣٦- ٤١).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: ما زال الكلام موصولًا عن قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة؛ حيث نختم الكلام عن هذه القواعد بعد أن تكلمنا عن القاعدة الأولى والثانية والثالثة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

القاعدة الرابعة: درء التعارض بين نصوص الكتاب والسنة

(أ) فقه القاعدة:

نصوص القرآن والسنة لا تتعارض فيما بينها، كما يدعيه أهل البدع، بل كلها وحي من عند الله تعالى، كما قال تعالى: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم: ٣، ٤)، والله تعالى أنزل كتابه القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغه وبيانه للناس؛ قال تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل: ٤٤)، والبيان قدر زائد عن القرآن المنزل، فمحال أن يتعارض البيان مع المبين، وقد قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (المائدة: ٣).

فالقول بأن هناك تعارضًا بين نصوص الكتاب والسنة هو مجرد دعوى، الغرض منها الطعن في الشريعة والرسالة، يقول الإمام الشافعي

Upload by: altawhedmag.com

رحمه الله: «إن الله عز وجل وضع نبيه صلى الله عليه وسلم من كتابه ودينه بالموضع الذي أبان في كتابه الفرض على خلقه أن يكونوا عالمين بأنه لا يقول فيما أنزل الله عليه إلا بما أنزل عليه، وأنه لا يخالف كتاب الله، وأنه بيَّن عن الله عز وجل معنى ما أراد الله، وأما ما يظهر للناظر من تعارض بين بعض النصوص من الكتاب والسنة، فهو تعارض ظاهري يقع في نفس المجتهد وفهمه، ولا حقيقة له في نفس الأمر؛ وذلك لنقص في العلم أو الفهم أو فيهما معًا.

أما أن يقع التعارض في نفس الأمر وحقيقته، بأن يصدر عن الشارع دليلان متعارضان؛ يقتضي أحدهما نقيض ما يقتضيه الآخر، ولا يكون بينهما تناسخ، ولا يجمعهما جامع، أو يؤلف بينهما رابط؛ فهذا لا يكون بحال، بل هذا سفه وتيه يتنزه عنه الرجل العاقل، فضلًا عن الشارع الحكيم".

يقول الإمام الشاطبي- رحمه الله تعالى- في كتابه «الموافقات»: أدلة الشريعة لا تتعارض في نفس الأمر؛ ولذلك لا تجد البتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما، بحيث وجب عليهم الوقوف، لكن قد يقع التعارض في فهم الناظرين.

(ب) أسباب وقوع التعارض الظاهري بين النصوص:

ذكر أهل العلم أسبابًا عدة تكمن وراء هذا التعارض الظاهري، نذكر جملة منها كما يلي:

الأمر الأول: ما يكون بين آي القرآن ونصوص السنة: من عموم وتخصيص، واطلاق وتقييد، واستثناء ونحو ذلك، فيقع في فهم بعض الناظرين أن ذلك من التعارض، وليس الأمر كذلك.

الأمر الثاني: الجهل بسعة لسان العرب، وقد نزل القرآن بلسانهم، فالعرب تخاطب بالشيء عامًا ظاهرًا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعامًا ظاهرًا يراد به الخاص، وظاهرًا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمى بالاسم الواحد المعاني الكثيرة، كل هذا وغيره من لسان العرب وفطرته، وبلسانها نزل القرآن وجاءت السنة، فمن جهل ذلك اختلف عنده العلم بالكتاب والسنة، وهذا يظهر بوضوح لدى من لا يعرف ولا يتقن لغة العرب، فيقع هو في التعارض الظاهري الذي أدخله على نفسه بسبب نقص علمه.

الأمر الثالث: الوضع من قبل الزنادقة لبعض الأحاديث مُعارضًا بها ما صح من معاني الكتاب والسنة، بغرض الطعن في الإسلام والتشكيك في أصوله ومصادره.

الأمر الرابع: الوهم الذي قد يقع لبعض الثقات؛ فيروي الحديث على وجه ظنًّا منه أنه صحيح وليس الأمر كذلك، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإذا وقع التعارض، فإما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم وقد غلط فيه بعض الرواة، مع كونه ثقة ثبتًا، فالثقة يغلط.

(جـ) كيفية دفع التعارض:

ومذهب الجمهور في كيفية دفع التعارض هو: أن يسلك المجتهد الطرق التالية مرتبة الأول فالأول هكذا:

أولًا: أن يطلب المجتهد الجمع بين الدليلين؛ لاحتمال أن يكون الدليلان في حالين مختلفين، أو أن بينهما عمومًا وخصوصًا، أو إطلاقًا وتقييدًا؛ ولأن إعمال الأدلة كلها أولى من إهمالها أو إهمال بعضها، وهو قول جميع الفقهاء، وقال الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى-: ولا ينسب الحديثان إلى الاختلاف ما كان لهما وجهًا يمضيان فيه معًا، إنما المختلف ما لم يمض إلا بسقوط غيره، مثل أن يكون الحديثان في الشيء الواحد هذا يحله

Upload by: altawhedmag.com

وهذا حرمه.

ثانيًا: وهو إذا لم يتيسر الجمع بين الأدلة، وكان الدليلان مما يقبلان التناسخ نظر في التاريخ لمعرفة المتأخر من المتقدم فيكون المتأخر ناسخًا للمتقدم. قال الشافعي رحمه الله: فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف، كان أحدهما ناسخًا والآخر منسوخًا».

ثالثًا: إن تعذر العلم بالتأريخ عمد إلى الترجيح، ووجوه الترجيح كثيرة، عدها بعضهم خمسين وجهًا، وزاد آخرون، فأيهما رجح عمل به، والعمل بالراجح متعين في فطر العقول، وعليه إجماع العلماء. قال الشوكاني رحمه الله: إنه متفق عليه ولم يخالف في ذلك إلا من لا يعتد به، ومن نظر في أحوال الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم، وجدهم متفقين على العمل بالراجح وترك المرجوح.

القاعدة الخامسة: ظواهر النصوص مطابقة لمراد الشارع:

(أ) فقه القاعدة:

صرف الكلام عن ظاهره من غير دليل يبين مراد المتكلم تحكم، سببه الجهل أو الهوى، بل الواجب إبقاء الكلام على ظاهره، خاصة إذا عرف أن المتكلم إنما يريد البيان والنصح والإرشاد، فإذا حمل السامع كلامه على خلاف ظاهره وخلاف ما يفهم منه عند التخاطب عادة: كان هذا إخبارًا منه عن مراد المتكلم يحتمل الصدق والكذب، ولا يكون صدقًا إلا إذا بين دليل هذا الحمل، وإلا فهو محض كذب، وتقوّل على المتكلم.

(ب) فوائد الالتزام بهذه القاعدة:

الفائدة الأولى: موافقة نصوص الكتاب والسنة لفظًا ومعنى أولى من موافقتها معنًى لا لفظًا، وذلك أن أهل السنة والجماعة القائلين بإرادة الظاهر منها قد وافقوها لفظًا ومعنى، وشر الناس من خالف النصوص لفظًا ومعنى، وهم القائلون: الظاهر غير مراد، قاصدين بذلك تعطيل النصوص عما دلت عليه من الحقائق.

الفائدة الثانية: قال الإمام الشافعي رحمه الله: القرآن عربي كما وصفنا، والأحكام فيه على ظاهرها وعمومها، ليس لأحد أن يحيل منها ظاهرًا إلى باطن ولا عامًا إلى خاص إلا بدلالة من كتاب الله، فإن لم تكن فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أنه خاص دون عام، أو باطن دون ظاهر، أو إجماع من عامة العلماء الذين لا يجهلون كلهم كتابًا ولا سنة. وهكذا السنة ولو جاز في الحديث أن يحال شيء منه عن ظاهره إلى معنى باطن يحتمله، كان أكثر الحديث يحتمل عددًا من المعاني، ولا يكون لأحد ذهب إلى معنى منها حجة على أحد ذهب إلى معنى غيره، ولكن الحق فيها واحد: لأنها على ظاهرها وعمومها إلا بدلالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قول عامة أهل العلم بأنها على خاص دون عام، وباطن دون ظاهر، إذا صرفت إليه عن ظاهرها محتملة للدخول في معناه.

الفائدة الثالثة: عدم التكلف في الدين والتقول على الله، والافتراء على رسوله قال تعالى: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» (ص: ٨٦)، قال الطبري رحمه الله: «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ»: أتخرص وأتكلف ما لم يأمرني الله به. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نُهينا عن التكلف».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

أسئلة القراء عن الأحاديث

أجاب عنها: الشيخ مجدي قاسم (رحمه الله)

(عدد ذي القعدة ١٤١٥هـ)

يسأل القارئ طارق محمود عن حديثين أوردهما شيخ الإسلام ابن تيمية في (الإيمان الأوسط):

أولاً: حديث: (ما أصرَّ من استغفر ولو فعله في اليوم مائة مرة).

حديث حسنٌ لشاهده.

ورد الحديث بلفظ (... سبعين مرة) رواه الترمذي (ح٣٥٥٩)، وأبو دواد (ح١٥١٤)، وأبو يعلي (ح١٣٧: ١٣٩)، والبزار كما في المقاصد الحسنة للسخاوي (ح٩٣٠)، والبغوي في شرح السنة (٧٩/٥: ٨٠ ح١٢٩٧) وأيضًا في تفسيره (٤٢٢/١)، والطبري (٦٤/٤)، وابن السني في عمل اليوم (ص١١٠ ح٣٦٣)، وأبو بكر أحمد بن علي الأموي في مسند أبي بكر (ح١٢١، ١٢٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٨٨/١٠)، والمزي في تهذيب الكمال (٣٤٦/٣٤: ٣٤٧) كلهم من طريق عثمان بن واقد عن أبي نصيرة عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر مرفوعًا.

والحديث قال عنه الترمذي: (حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة، وليس إسناده بالقوي).

وقال البزار: (لا نحفظه إلا من حديث لأبي بكر بهذا الطريق، وأبو نصيرة وشيخه لا يُعرفان) وقد نقل عنه الحافظ في التهذيب (٢٥٦/١٢) قوله: (أبو نصيرة عن مولى لأبي بكر مجهولان).

وأبو نصيرة هو الواسطي واسمه مسلم بن عبيد وثقه أحمد، وقال ابن معين: صالح، وذكره ابن حبان في الثقات (٣٩٩/٥) وقال: (روى عنه أهل الشام، وكان يُخطئ على قلة روايته).

وقال الأزدي، وإن كان في نفسه ضعيفًا: (ضعيف) وأضاف الحافظ في التهذيب: (... وفرّق الحاكم أبو أحمد في الكنى وابن ماكولا عن الراوي عن مولى أبي بكر وبين الواسطي، وجعلهما واحدًا البخاري وأبو حاتم وابن طاهر وغيرهم) ووثقه في التقريب.

وقال الدارقطني في العلل (٢٦١/١) في حديث آخر: (وأبو نصيرة ضعيف) ونقل عنه الذهبي في ميزانه (١٠٥/٤) قوله: (ليس ممن يُحتج بهم) وقال عنه الذهبي: (وهو مُقلّ) وانظر أيضًا الميزان (٥٨٠/٤).

وراجع التاريخ الكبير للبخاري (٢٦٧/١/٤)، والجرح والتعديل (٧٨/١/٤).

وقال المزي في تهذيبه عن هذا الحديث: (وقيل: عن أبي نصيرة- لعله قد سقطت كلمة (عن)- مولى أبي بكر عن أبي بكر، وقيل: عن أبي رجاء مولى أبي بكر عن أبي بكر، والأول أصحّ) يشير إلى جهالة مولى أبي بكر.

وعثمان بن واقد العُمري الراوي عن أبي نصيرة قال عنه الحافظ في تقريبه: (صدوق ربما وهم) فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تابعي كبير، ويكفيه نسبته إلى أبي بكر، فهو حديث حسن) قلت: حسنه يرجع لوجود شاهد له لا لذاته!.

هذا، وقد ضعّف إسناده الألباني في تحقيقه

Upload by: altawhedmag.com

للمشكاة (ح٢٣٤٠)، وسكت عنه الحافظ في فتح الباري (١١/١٠١/١٠٢) وقال: (وذكر السبعين للمبالغة)، وقال السخاوي في المقاصد: (... وله شاهد عند الطبراني في الدعاء من حديث ابن عباس) وقد رواه الطبراني في الدعاء (ح١٧٩٧) وفي إسناده: أبو شيبة وهو سعيد بن عبد الرحمن الزُّبيدي، وهو مقبول أي عند المتابعة، وبقية رجاله ثقات.

ولذا نميل إلى تحسين هذا الحديث بشاهده، والله أعلم. هذا، والحديث حسّنه الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أبي بكر الصديق لأبي بكر أحمد بن علي الأموي بعد أن نقل تضعيف إسناد الحديث عن علي بن المديني والترمذي.

- ثانيًا: حديث: (الصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب).

- النصف الأول: (الصدقة تطفئ ...) له شواهد يتقوى بها، والنصف الثاني (والحسد...) ضعيف.

قد ورد هذا الحديث بتقديم فقرة (الحسد..) على فقرة (الصدقة..) رواه ابن ماجه (ح٤٢١٠) وأبو يعلي في مسنده (ح٣٦٥٦)، وابن عدي في كامله (٥/٢٤٧)، والخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/١٤٦) كما رواه بلفظ (الغل والحسد يأكلان الحسنات (١/١٤٥؛ ١٤٦) كما رواه مقتصرًا على الحسد (١- ١٤٧)، وقد روى الحديث أيضًا في نسخة أبي مسهر (ح٤٦) ط.دار الصحابة، وأبو الشيخ في التوبيخ (ح٦٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (ح١٠٤٩) كما ذكره الديلمي في مسند الفردوس (ح٢٦٣٤) مقتصرًا على الحسد، والحديث عزاه الألباني في الضعيفة (ح١٩٠١) إلى المخلّص في الفوائد المنتقاة وأبي طاهر الأنباري في المشيخة وابن أخي ميمي في الفوائد المنتقاة وابن عساكر في التاريخ كلهم من طريق عيسى بن أبي عيسى الحنّاط، قال عنه ابن عدي: (وأحاديثه لا يتابع عليها متنًا ولا إسنادًا).

وقال الحافظ في التقريب: (متروك).

والحديث ضعّفه البوصيري في زوائد ابن ماجه (ح١٥٠١)، والعراقي في تخريجه للإحياء (١/٤٥)، فالحديث ضعيف جدًا من أجل عيسى هذا ولكن له شواهد على فقرتيه: فأما الحسد، فقد ورد بلفظ (إن الحسد يطفئ نور الحسنات) رواه أبو داود (ح٤٩٠٤)، وأبو يعلي (ح٣٦٩٤)، وفيه سعيد بن عبد الرحمن قال عنه الحافظ: (مقبول) أي عند المتابعة، وقد ضعّف الألباني الحديث في ضعيف أبي داود (ح١٠٤٩) كما ورد بلفظ (إن الحسد يأكل الحسنات...) رواه ابن أبي شيبة كما في زوائد البوصيري، ومن طريق رواه ابن عبد البر في التمهيد (٦/١٢٣؛ ١٢٤) وفيه يزيد القرشي وهو ضعيف، وقد رواه أيضًا أبو الشيخ في التوبيخ (ح ٦١).

كما ورد بلفظ: (إياكم والحسد! فإن الحسد يأكل..) رواه أبو داود (ح٤٩٠٣)، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (ح١٤٣٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/٢٧٢؛ ٢٧٣)، والبيهقي في الآداب (ح١٥٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/١٢٤)، كما وراه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٦/٤١٩)، وقد عزاه الألباني في الضعيفة (ح ١٩٠٢) إلى ابن بشران في الأمالي وأبي بكر الكلاباذي في مفتاح المعاني والحديث قال عنه البخاري: (لا يصح)، وضعّفه الألباني في الضعيفة وقال: (رجاله موثّقون غير جد إبراهيم وهو مجهول لأنه لم يُسمَّ) وهو جد إبراهيم بن أبي أسيد قال عنه الحافظ: (لا يُعرف) وقد سكت الحافظ المنذري عن الحديث في الترغيب (٤/١٢).

كما ورد بلفظ: (إن الحسد يأكل ...) رواه القضاعي (ح١٠٤٨) وقد بيّن الألباني- حزاه

Upload by: altawhedmag.com

الله خيرًا- ضعفه في الضعيفة (١٩٠١).

كما ورد بلفظ: (الحسد يأكل..) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٢٧/٢) كما رواه ابن شاذان الأزجي في الفوائد المنتقاة كما في الضعيفة للألباني. وقد بيّن هناك ضعفه بالرغم من تحسين الحافظ العراقي له في تخريجه للإحياء (٤٥/١).

كما ورد بلفظ (الصلاة نور ... والحسد يأكل الحسنات) رواه البيهقي كما في الدر المنثور (٤١٩/٦).

وأما فقرة الصدقة فلها عدة شواهد:

منها حديث جابر بن عبد الله أن النبي صلي الله عليه وسلم قال ذلك لكعب بن عُجرة في قطعة من حديث: رواه أبو يعلي (ح١٩٩٩) والقضاعي في مسند الشهاب (ح١٠٥) كما رواه عبد الرزاق في مصنفه (ح٢٠٧١٩) وعنه أحمد (٣٢١/٣)، وابن حبان (ح١٧٢٣، ٤٥١٤)، والحاكم (٤٢٢/٤) وصحّح إسناده ووافقه الذهبي، كما صحّح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للترمذي (٥١٤/٢؛ ٥١٥) وقد صحّحه المنذري في الترغيب (٢٢/٢) كما صحّحه الهيثمي في المجمع (٢٣٠/١٠) بعد أن عزاه إلى أبي يعلى وحده تبعًا للمنذري، وقد رواه أحمد (٣٩٩/٣)، والبزار (ح١٦٠٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٤٧/٥): (رواه أحمد والبزار ... ورجالهما رجال الصحيح) كما رواه الحاكم مختصرًا (٤٧٩/٣؛ ٤٨٠) كما رواه الدارمي مختصرًا أيضًا في الرقائق، باب في أكل السحت (ح٢٧٧٦).

وقد جاء الحديث عن كعب بن عُجرة نفسه: وله عنه عدة طرق: فعن أبي بكر بن بشير: رواه ابن حبان (ح٥٥٦٧)، والطبراني في الكبير (١٦٢/١٩ح ٣٦١) وعن عاصم العدوي: رواه الطبراني في الكبير (ج١٩ح٢٩٨) وقد سقط من السند كعب، ولكنه جاء على الصواب في معجمه الصغير (ح٦١٦) وعن طارق بن شهاب: رواه الترمذي (ح٦١٤) والطبراني (ح٢١٢)

وقال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى، وأيوب بن عائذ الطائي يُضعَّف، ويُقال: كان يرى رأي الإرجاء، وسألت محمدًا (أي البخاري) عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى واستغربه جدًا، هذا، وقد عزاه الهيثمي في المجمع (٢٣٠/١٠؛ ٢٣١) إلى الطبراني في الأوسط، وقال: (ورجاله ثقات)، والحديث صححه أحمد شار في تحقيقه للترمذي. وقد ورد الحديث بدون الشاهد مختصرًا في مواضع كثيرة منها في كبير الطبراني في الجزء ١٩ (ح٢٩٤، ٣٠٩، ٣١٠)، وانظر الصغير (ح٤٢٢)، وأحمد (٢٤٣/٤) وابن ماجه (ح ٣٩٧٣).

وقد جاء الحديث عن معاذ بن جبل: رواه أحمد (٢٣١/٥)، وعبد الرزاق (ح٢٠٣٠٣)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في سننه الكبرى كما في تحفة الأشراف (ح١١٣١١) وهو في تفسيره (ح٤١٤)، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (ح١٠٤) وغيرهم، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح) وقد رده الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم، وقد أطال الشيخ الألباني- جزاه الله خيرًا- النفس في تخريجه في إرواء الغليل (ح٤١٣) وأيضًا أخونا في الله سيد الجليمي وصبري الشافعي في تخريجهما لتفسير النسائي، وانظر أيضًا الدر المنثور للسيوطي (١٧٥/٥).

هذا، وقد جاء الحديث أيضًا عن أنس: رواه البيهقي كما في الدر المنثور (٤١٩/٦).

وقد قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٥/٤): (وجملة الصدقة لها شواهد تتقوى بها).

والله تعالى أعلم.

Upload by: altawhedmag.com

الحلقة (٤)

أعمال القلوب في القرآن والسنة

الاطمئنان بذكر الله تبارك وتعالى

إعداد: أ. عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ: فإنّ من أعمال القلوب المهمة التي هي منْحَة ومنَّة يمنحها الله لعباده المؤمنين: طمأنينة القلب بذكر الله سبحانه، وهي منزلة عظيمة يجد فيها الإنسان سكون النفس، وراحة الصدر، وثبات القلب، وحُسن الظن بالله، والثقة بتدبيره، والرضا بما قدّره وقضاه سبحانه وتعالى.

وأصل هذه الطمأنينة قول الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)؛ وهذه الآية من أعظم الآيات التي تُبيّن حقيقة الطمأنينة ومصدرها؛ فالله سبحانه يخبر أن القلوب لا تجد طمأنينتها الحقيقية إلا في ذكره وتمجيده والرضا عنه، وأن ذكر الله ليس مجرد ألفاظ تُردّدها الألسنة، وإنما هو حياة للقلب، وصلة دائمة بالله تعالى، واستحضار لعظمته ورحمته وقدرته وحكمته.

معنى الاطمئنان بذكر الله تعالى

الاطمئنان هو سكون القلب واستقراره بعد اضطراب، وشعوره بالأمن بعد خوف، والراحة بعد قلق. وليس معنى ذلك أن المؤمن لا يحزن أو لا يخاف أو لا يمر بالمحَن؛ فالأنبياء والصالحون أصابهم الحزن والخوف والابتلاء، ولكنّ الفرق أن المؤمن لا يستسلم لهذه المشاعر السيئة، بل يجد في إيمانه بالله وذكره ملجأ يأوي إليه، وقوة تُعينه على تجاوز العقبات.

فالاطمئنان بالله لا يعني غياب المشكلات من الحياة، وإنما يعني استحضار عظمة الله تعالى في قلب العبد عند مواجهة هذه المشكلات.

وقد يكون الإنسان في شدة وضيق، لكنه يشعر في أعماقه بأنّ له ربًا رحيمًا يُدبّر أمره، ويسمع دعاءه، ويعلم حاله، ولا يتركه. ومن هنا يأتي السكون الذي لا يستطيع أن يمنحه للإنسان أيّ شيء مادي.

كما حث القرآن على التسلح بالتوكل والاطمئنان بمعية الله تعالى؛ قال تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (الطلاق: ٣)؛ فإذا امتلأ القلب بالثقة بالله، علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن تدبير الله له خير من

Upload by: altawhedmag.com

تدبيره لنفسه.

حقيقة الاطمئنان بالله تعالى

حقيقة الاطمئنان بالله تقوم على معرفة العبد بربّه وعظمته، ومعرفة أسمائه وصفاته، وحُسن الظن به، والثقة بوعده، والاعتماد عليه، والرضا بتقديره.

ومن عرف الله حق المعرفة علم أنه سبحانه أرحم بعباده من أنفسهم، وأعلم بمصالحهم، وأقدر على تحقيقها، وأن أقداره لا تخلو من حكمة، وإن خفيت على الإنسان أحيانًا.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي» رواه البخاري ومسلم.

ولهذا كان حسن الظن بالله من أعظم أسباب الطمأنينة وراحة القلب. فإذا نزلت بالعبد شدة، لم ينظر إلى حجم المشكلة وحدها، بل ينظر إلى عظمة ربه الذي بيده الأمر كله.

والاطمئنان لا يعني ترك الأسباب أو الاستسلام للواقع، وإنما يجمع المؤمن بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله. فهو يعمل ويجتهد، ويخطط ويسعى، لكنه لا يجعل قلبه متعلقًا بالأسباب، وإنما يتعلق بمسبب الأسباب سبحانه.

الذكر حياة القلوب

(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)؛ توضح الآية أن أعظم المعينات على الوصول إلى الطمأنينة هو الإكثار من ذكر الله تعالى، والذكر ليس عبادة هامشية في حياة المسلم، بل هو من أعظم العبادات وأوسعها أثرًا في القلب.

ولذا أمر العبد بالإكثار منه ليصل إلى منزلة الطمأنينة؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الأحزاب: ٤١-٤٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه؛ مثل الحي والميت» رواه البخاري.

فكما أن الجسد لا يستطيع أن يعيش بلا غذاء، فإن القلب لا يستطيع أن يحيا حياة سليمة بلا إيمان وذكر وصلة بالله تعالى.

والذكر يشمل ذكر الله باللسان، وذكره بالقلب، وذكره بالجوارح. فالتسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من ذكر اللسان، والتفكر في نعم الله وعظمته والخوف منه ورجاؤه من ذكر القلب، وطاعة الله وترك معصيته من ذكر الجوارح.

ولهذا فإن الإنسان قد يردد الكلمات بلسانه بينما يكون قلبه غافلًا، وقد يذكر الله بلسانه وقلبه معًا، فتكون آثار الذكر أعمق وأعظم.

كيف نحقق الاطمئنان بذكر الله؟

١- معرفة الله تعالى

كلما ازداد العبد معرفة بالله، ازدادت طمأنينته به. ومَن عرف أن الله رحيم، لم ييأس من رحمته، ومن عرف أنه غفور، لم يقنط من مغفرته، ومن عرف أنه قوي قادر، لم يستسلم للضعف، ومن عرف أنه حكيم، اطمأن إلى قضائه. قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف: ١٨٠)؛ ومن أعظم أبواب الطمأنينة أن يتعلم المسلم أسماء الله الحسنى وصفاته، ويتعبد لله بمقتضاها.

٢- المحافظة على الصلاة

الصلاة أعظم صلة يومية بين العبد وربه، وفيها يترك الإنسان مشاغل الدنيا ويقف بين يدي الله تعالى؛ قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (طه: ١٤)؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر؛ فزع إلى الصلاة. وفي الصلاة يجد المؤمن فرصة لمناجاة ربه، وطرح همومه بين يديه، وطلب العون منه.

٣- الإكثار من الذكر

وقد سبق معنا أهمية الذكر في الوصول إلى منزلة الطمأنينة؛ ولذا ينبغي للمسلم أن يجعل لسانه رطبًا بذكر الله؛ بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار، وأن يحافظ على أذكار الصباح والمساء وأذكار النوم والاستيقاظ وغيرها.

ومن وصايا النبي صلى الله عليه وسلم قوله:

Upload by: altawhedmag.com

«لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله» رواه الترمذي.

والاستمرار على الذكر يجعل القلب متصلًا بالله خلال ساعات اليوم، فلا يكون ذكر الله مرتبطًا فقط بأوقات الشدة، وإنما يصبح عادة إيمانية مستمرة.

٤- تدبر القرآن الكريم

القرآن أعظم ما يُغذي القلب بالإيمان، ويمنحه السكينة واليقين. قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) (الزمر: ٢٣).

وليس المقصود مجرد كثرة القراءة، بل أن يقرأ المسلم بتدبُّر، وأن يقف عند الآيات التي تتحدَّث عن رحمة الله ووعده، وعن قدرته وحكمته، وعن قصص الأنبياء والصالحين، فيجد في القرآن جوابًا لكثير من مخاوفه وتساؤلاته.

٥- الدعاء والافتقار إلى الله

من أعظم أسباب الطمأنينة أن يشعر الإنسان بأنه ليس وحده، وأن له ربًّا يسمع دعاءه. قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر: ٦٠)؛ والدعاء في حقيقته إعلان عن افتقار العبد إلى ربه، وهذا الافتقار يُحرِّره من التعلق المفرط بالمخلوقين والأسباب، ويجعله متعلقًا بالخالق سبحانه.

٦- حُسن الظن بالله

قد يمر الإنسان بمرحلة لا يفهم فيها الحكمة من بعض ما يحدث له، وهنا يظهر أثر حسن الظن بالله. قال تعالى: (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢١٦)؛ فليس كل ما يحبه الإنسان خيرًا له، وليس كل ما يكرهه شرًّا له. ولذلك يطمئن المؤمن إلى علم الله وحكمته، حتى عندما لا يدرك الحكمة في اللحظة نفسها.

ثمرات الاطمئنان بذكر الله تعالى

للاطمئنان بالله ثمرات عظيمة في حياة الإنسان، من أبرزها:

١- السكينة النفسية:

فالقلب المتصل بالله لا تستهلكه المخاوف بنفس الدرجة التي تستهلك بها القلب الغافل؛ لأنه يجد في ذكر الله ملجأً دائمًا.

٢- قوة مواجهة الأزمات:

المؤمن لا يواجه الشدائد بقوّته وحدها، بل يستمد قوته من توكله على الله تعالى.

٣- التخلص من اليأس والقنوط:

فمن عرف رحمة الله لم ييأس، ومن عرف قدرته لم يستبعد الفرج.

٤- الرضا بقضاء الله وقدره:

فالطمأنينة تجعل العبد أكثر قدرة على تقبُّل ما قدَّره الله عليه، مع استمرار السعي في إصلاح ما يمكن إصلاحه.

٥- حُسن التعامل مع الناس:

فالقلب المطمئن بالله لا يكون شديد التعلق بمدح الناس أو ذمّهم، لأنه يعلم أن قيمته الحقيقية فيما عند الله.

٦- زيادة الإيمان:

كلما أكثر العبد من الذكر والطاعة والتدبر، ازداد يقينه بالله، وكلما ازداد يقينه، ازدادت طمأنينته.

خاتمة

إن الاطمئنان بذكر الله تعالى ليس مجرد شعور مؤقت بالراحة النفسية، وإنما هو منزلة إيمانية عميقة تقوم على معرفة الله، والثقة به، والتوكل عليه، وحُسن الظن به، ودوام ذكره، واللجوء إليه في السراء والضراء.

وقد اختصر القرآن الكريم طريق الطمأنينة في كلمات عظيمة: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)؛ فإذا اضطرب القلب، فدواؤه ذكر الله، وإذا اشتد الخوف، فملجؤه إلى الله، وإذا ضاقت الدنيا، فباب الله مفتوح، وإذا كثرت الهموم، فإن من أعظم ما يزيلها أن يستعيد القلب صلته بربه.

نسأل الله من واسع فضله وجوده وخزائن رحمته، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com



تعلمتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وضع الرجل المناسب في المكان المناسب

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلّم البشرية رسول الله.

وبعد: فمن المعلوم من الدين ضرورةً أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول والأخير لتلك الأمة التي أرسله الله تعالى إليها، فهو عليه الصلاة والسلام في أمته أول المؤمنين والمعلمين، ولن يأتي أحد بعده يستدرك عليه في تعليمه. ولهذا وصف الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه النبي في تعليمه بقوله: "فبأبي هُوَ وأمّي، مَا رَأيْتُ مُعَلّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ". صحيح مسلم ح٥٣٧. وما أروع قوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه وهو يبيّن مكانته ومسئوليته التعليمية في الأمة حيث قال: "إنّما أنا لكُمْ مِثْلُ الْوالِدِ: أعَلِّمُكُمْ". مسند أحمد ح٧٤٠٩ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، واسناده قوي.

وما أحسن توظيف وتكليف الله تعالى له للقيام بتلك المهمة التعليمية السامية حين ابتعثه الله، وأوحى إليه أنْ يعلّم الناسَ الكتابَ والحكمة، ويبين لهم ما نُزّل إليهم من ربهم، فقال جل جلاله: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ". الجمعة: ٢. ولقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم وجوب وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ولا تجوز المجاملة في ذلك ولا المحاباة؛ لأن من وراء ذلك الفساد الكبير، والشر المستطير.

إن وضع الرجل غير المناسب في المكان الذي لا يستحقه يرفع من مقام الوضيع، وينقص من مقام الفاضل. فعندما يدير الشخص غير المناسب أي قطاع أو منظومة فإنه يحارب الكفاءات حتى لا يظهر أحد بجواره يخطف منه الأضواء، فيحاربه بالتهميش تارة وبالإقصاء تارة وبالكذب والافتراء والكيد تارة أخرى.

ووضع شخص في غير موقعه ومنحه حقاً ليس له بأهل مع العلم بقدرة شخص آخر أجدر وأحق به يُعدّ من الظلم وخيانة الأمانة، وهو محرم شرعاً؛ لما ينتجه من ضياع الحقوق وفساد الإدارات والمجتمعات؛ عن ابْن عَبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَعْمَلَ عَامِلاً عَلَى قَوْمٍ، وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى للَّهِ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللَّه، وَخَانَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَخَانَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ». السنة لابن أبي عاصم ح١٤٦٢.

Upload by: altawhedmag.com

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، مما يدل على أن إسناد الأمور لغير الأكفاء إيذان بخراب النظم وضياعه. ووضع غير المستحق في المكان العالي يحرم المستحق الحقيقي من حقه، وقد حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً. ثم إن من قام بهذا الفعل يتحمل وزر إضاعة الحقوق وظلم المستحق. وفي هذا من الضرر العام ما يؤدي إلى تفشي المحاباة والمجاملة على حساب الكفاءة والعلم، وينتج عنه تراجع في الأعمال وضياع للمصالح.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها ستأتي على الناس سنون خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة" قيل: وما الرويبضة؟ يا رسول الله قال: "السفيه يتكلم في أمر العامة". مسند أحمد ح ٧٩١٢. وهو حديث حسن بمجموع طرقه.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى في جامع العلوم والحكم: "ومضمون ما ذكر من أشراط الساعة في هذا الحديث يرجع إلى أن الأمور توسد إلى غير أهلها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: لمن سأله، عن الساعة: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، فإنه إذا صار الحفاة العراة رعاء الشاء-وهم أهل الجهل والجفاء- رؤوس الناس، وأصحاب الثروة والأموال، حتى يتطاولوا في البنيان، فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا، فإنه إذا كان رأس الناس من كان فقيرا عائلا، فصار ملكا على الناس، سواء كان ملكه عاما أو خاصا في بعض الأشياء، فإنه لا يكاد يعطي الناس حقوقهم، بل يستأثر عليهم بما استولى عليه من المال، فقد قال بعض السلف: لأن تمد يدك إلى فم التنين، فيقضمها، خير لك من أن تمدها إلى يد غني قد عالج الفقر. وإذا كان مع هذا جاهلا جافيا، فسد بذلك الدين، لأنه لا يكون له همة في إصلاح دين الناس ولا تعليمهم، بل همته في جباية المال واكتنازه، ولا يبالي بما فسد من دين الناس، ولا بمن ضاع من أهل حاجاتهم. وقال في حديث آخر: «لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها». وإذا صار ملوك الناس ورؤوسهم على هذه الحال انعكست سائر الأحوال، فصدق الكاذب، وكذب الصادق، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وتكلم الجاهل، وسكت العالم، أو عدم بالكلية، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، وأخبر: أنه يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». وقال الشعبي رحمه الله تعالى: "لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا، والجهل علما". وهذا كله من انقلاب الحقائق في آخر الزمان وانعكاس الأمور. وفي صحيح الحاكم عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: «إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار، ويرفع الأشرار». (جامع العلوم والحكم: ١/ ١٣٩).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار لكل مهمة الرجل الذي يناسبها بكفاءته وقدرته الخاصة.

فوضع أبا بكر في الصلاة؛ وعلياً في القضاء؛ وعتاب بن أسيد على مكة: فقد استعمله النبي على مكة وهو شاب يبلغ نحو عشرين عاما؛ لذكائه وحكمته وحسن إدارته لأطهر البقاع.

وأسامة بن زيد في الجيش: فقد ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قيادة جيش فيه كبار الصحابة كأبي بكر وعمر؛ لأنه كان كفئا لقيادة الجيوش وفنون القتال.. وخالد بن الوليد لقبه النبي بسيف الله المسلول واختاره لقيادة الجيوش وتحقيق الانتصارات العسكرية البارزة لمهارته وحنكته القتالية الفريدة.

ومصعب بن عمير بعثه النبي سفيراً ومعلماً لأهل المدينة قبل الهجرة لتميزه بالحكمة وحسن الوفادة والقدرة على الدعوة والحوار.

ومعاذ بن جبل: أرسله إلى اليمن قاضياً ومعلماً لفقهه الواسع وعلمه بأحكام الحلال والحرام. وقال له: "أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ".

وعمرو بن العاص: ولاه النبي قيادة غزوة ذات

Upload by: altawhedmag.com

السلاسل لحنكته العسكرية ودهائه وخبرته بالقبائل. حتى سأل عمرو بن العاص النبي صلى الله عليه وسلم: "أي الناس أحب إليك؟" قال: "عائشة". قال: "فمن الرجال؟" قال: "أبوها". دليل على تقدير الأقدار والمنازل للرجال.

وبلال بن رباح: اختاره لرفع الأذان لنداء الصلاة لجمال صوته وقوته وجهارته. وزيد بن ثابت: ولاه كتابة الوحي لذكائه وسرعة حفظه ودقته. وحسان بن ثابت: جعله شاعراً للدفاع عن الإسلام بلسانه؛ لأن شعره كان قوياً ومؤثراً.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من المحاباة في الوظائف وطلبها والحرص عليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه» (رواه مسلم)؛ وذلك لمنع تولي غير الكفء أو طالب المنظرة والوجاهة. كيف لا وهو القائل صلى الله عليه وسلم: "إذا وُسِّدَ الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة". فالرجل المناسب في المكان المناسب. فلا تسند الوظيفة إلا لمن هو أهل لها، لغرض أن تبرز كفاءته وصفاته. فالنبي صلى الله عليه وسلم اعتذر لأبي ذر رضي الله عنه لما طلب منه أن يستعمله، بل حذره من خطر ذلك عليه مما عرفه عنه صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذرٍّ إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين ولا تَوَلَّيَنَّ مال يتيم". وعنه قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذرٍّ إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة إلا مَنْ أخذها بحقها، وأدَّى الذي عليه فيها" رواه مسلم.

وقد يكون الرجل حسن السيرة، معروفاً بين الناس بأخلاقه وفضائله لكنه ليس أهلاً لتولي المناصب العامة، فلو أعطي له منصب معين فسيؤدي به إلى عواقب سيئة. فالحديث معناه أنه إذا أنيط برجل منصب، ولم يكن أهلاً لقيادته فسيؤول إلى خراب وإلى دمار، وانتظار الساعة يعني: خراب ذلك الشيء. فحين طلب أبو ذر من النبي صلى الله عليه وسلم الإمارة، فردّ النبي توليته لعدم ملائمة قدراته الإدارية للمنصب رغم صلاحه وتقواه.

وفي حديث آخر يرويه الحاكم بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ استعمل رجلاً من عصابة -أي: طائفة- وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين". ويعرف هذا الشخص من خلال حسن تصرُّفه، وصيت سمعته بين المسلمين، وقد ظهر ذلك عياناً، واشتهر بفضائله بينهم، فهذا يقدم على غيره.

خطورة توسيد الأمر لغير أهله:

سقطت دول وزالت عروش وانهدت ممالك بسبب توسيد الأمور إلى مَن لا يحسن إدارتها. قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد طرابلس وأنطاكية وجميع ما والى ذلك، إلى بلاد آياس، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمماً لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحد ولا يوصف، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق، ولكن الله سلم، وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته". (البداية والنهاية ط إحياء التراث: ١٢/ ٣٣٢).

نسأل الله تعالى السلامة والعافية. والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com



بناء السدود على الأنهار

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الشرب والمساقاة، باب سكر الأنهار، حديث٢٢٣١ عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه حدَّثه أن رجلًا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل. فقال الأنصاري سَرِّح الماء يَمُرّ. فأبى عليه. فاختصما عند النبي صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: اسْقِ يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك. فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلوَّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: اسْقِ يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر. فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥).

قال ابن شهاب: فقدَّرت الأنصار والناس قول النبي صلى الله عليه وسلم: اسق ثم احبس حتى يرجع إلى الجدر، وكان ذلك إلى الكعبين.

والحديث أخرجه البخاري في مواضع أخرى من صحيحه منها: كتاب الصلح - باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى، وكتاب التفسير - تفسير سورة النساء- باب «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥).

Upload by: altawhedmag.com

وأخرجه مسلم في الصحيح في كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم. وأخرجه أبو داود في أول كتاب الأقضية. والترمذي في كتاب الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنسائي في كتاب القضاة بروايتين، وابن ماجه في موضعين من سننه، في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك في كتاب الرهون، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - مسند الزبير بن العوام.

باب سكر الأنهار

السَّكر: هو السد والغلق، مصدر سكرت النهر إذا سددته. ومنه قولك: سكرت الباب إذا سددته وأغلقته. ويدخل في ذلك بناء السدود عند المنبع لمنع سريان النهر إلى مصبه أو تحويل مسار الأنهار وحرمان بلد المصب من الماء كما تفعل الحكومة الإثيوبية ببناء السدود على النيل الأزرق للتحكم في مياه النهر ومنع سريانه إلى السودان ومصر.

من هو الرجل الذي خاصم الزبير؟

هل كان بدريًا أم أنصاريًا أم كان منافقًا؟

قال ابن حجر في فتح الباري: قوله: (أن رجلًا من الأنصار) في رواية شعيب «قد شهد بدرًا». وفي رواية عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عند الطبري أنه من بني أمية بن زيد وهم بطن من الأوس. ووقع في رواية يزيد بن خالد عن الليث عن الزهري عند ابن المقري في معجمه أن اسمه حميد. قال أبو موسى المديني في «ذيل الصحابة»: لهذا الحديث طرق لا أعلم في شيء منها ذكر حميد إلا في هذه الطريق. ا.هـ.

وليس في البدريين من الأنصار من اسمه حميد. وحكى ابن بشكوال في مبهماته عن شيخه أبي الحسن بن مغيث أنه ثابت بن قيس بن شماس.

قال: ولم يأت على ذلك بشاهد.

قلت: (أي: الحافظ ابن حجر): وليس ثابت بدريًا.

وحكى الواحدي أنه ثعلبة بن حاطب الأنصاري الذي نزل فيه قوله تعالى: «ومنهم من عاهد الله». ولم يذكر مستنده وليس بدريًا أيضًا. نعم ذكر ابن إسحاق في البدريين ثعلبة بن حاطب، وهو من بني أمية بن زيد وهو عندي غير الذي قبله؛ لأن هذا ذكر ابن الكلبي أنه استُشهد بأُحد، وذاك عاش إلى خلافة عثمان.

وحكى الواحدي أيضًا وشيخه الثعلبي والمهدوي أنه حاطب بن أبي بلتعة، وتُعُقِّب بأن حاطبًا وإن كان بدريًا لكنه من المهاجرين. لكن مستند ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا» (النساء: ٦٥): قال: نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء» الحديث، وإسناده قوي مع إرساله.

وذكر الثعلبي بغير سند أن الزبير وحاطبًا لما خرجا مرا بالمقداد: فقال: لمن كان القضاء؟ فقال حاطب: قضى لابن عمته، ولوى شدقه. ففطن له يهودي فقال: قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ويتهمونه. وفي صحة هذا نظر.

ويترشح بأن حاطبًا كان حليفًا لآل الزبير بن العوام من بني أسد، وكأنه كان مجاورًا للزبير، والله أعلم.

وأما قول الداودي وأبي إسحاق الزجاج وغيرهما أن خصم الزبير كان منافقًا: فقد وجَّهه القرطبي بأن قول من قال إنه كان من الأنصار يعني نسبًا لا دينًا. قال: وهذا هو الظاهر من حاله، ويحتمل أنه

Upload by: altawhedmag.com

لم يكن منافقًا، ولكن أصدر ذلك منه بادرة النفس كما وقع لغيره ممن صحت توبته، وقوّى هذا شارح «المصابيح» التوربشتي، ووهّى ما عداه. وقال: لم تجْرِ عادة السلف بوصف المنافقين بصفة النصرة التي هي المدح ولو شاركهم في النسب. قال: بل هي زلة من الشيطان تمكّن به منها عند الغضب، وليس ذلك بمُستنكر من غير المعصوم في تلك الحالة. اهـ.

وقد عرفت أنه لا ملازمة بين صدور هذه القضية منه وبين النفاق. وقال ابن التين: إن كان بدريًّا فمعنى قوله: «لا يؤمنون» لا يستكملون الإيمان، والله أعلم.

والحق أن رواة الأحاديث من الصحابة والتابعين كانوا يتعمدون عدم ذكر أسماء مَن بدر منهم بادرة نفاق؛ سترًا عليهم، ولعلهم يرجعون ويتوبون فلا يُعيَّرون بسبب ذلك، ولا يُعيَّر به أولادهم.

قوله: (خاصم الزبير):

المخاصمة مفاعلة من الجانبين فكل منهما مُخاصِم للآخر.

قوله: (في شراج الحرة): جمع شرج مثل بحر وبحار ويجمع على شروج أيضًا، والمراد بها هنا مسيل الماء، وانما أُضيفت إلى الحرة لكونها فيها، والحرة موضع معروف بالمدينة. قال أبو عبيد: كان بالمدينة واديان يسيلان بماء المطر فيتنافس الناس فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعلى فالأعلى.

قلت: ذكرهما مالك في بلاغاته بالموطأ في كتاب الأقضية، «باب القضاء في المياه» عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في سيل مهزور ومذيب: «يُمْسَكُ حَتَّى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْأَعْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ».

قوله: (التي يسقون بها النخل) في رواية: كانا يسقيان بها كلاهما.

قوله: (فقال الأنصاري) يعني للزبير.

(سرّح الماء): أي أطلقه.

وانما قال له ذلك لأن الماء كان يمُر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري فيحبسه لإكمال سقي أرضه ثم يرسله إلى أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع.

قول النبي: (اسْقِ يا زبير)، زاد ابن جريج «فأمره بالمعروف»، وهي جملة معترضة من كلام الراوي، وقد أوضحه شعيب في روايته حيث قال في آخره «وكان قد أشار على الزبير برأي فيه سعة له وللأنصاري».

قول الرجل: (أن كان ابن عمتك): كأنه قال: حكمتَ له بالتقديم لأجل أنه ابن عمتك، وأم الزبير صفية بنت عبد المطلب.

قوله: (فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم): أي تغيّر، وهو كناية عن الغضب، حتى عرفنا أن قد ساءه ما قال.

قوله: (حتى يرجع إلى الجدر): أي يصير إليه، والجدر المراد الحواجز التي تحبس الماء وجزم به السهيلي، ويروى الجدر بضم الدال حكاه أبو موسى وهو جمع جدار، وقال ابن التين: ضُبط في أكثر الروايات بفتح الدال وفي بعضها بالسكون وهو الذي في اللغة وهو أصل الحائط.

قال القرطبي: والمعنى أن يصل الماء إلى أصول النخل.

"ثم أرسل الماء إلى جارك" بعد قوله "احبس الماء"؛ والحاصل أن أمره بإرسال الماء كان قبل اعتراض الأنصاري، وأمره بحبسه حتى يبلغ الجدر كان بعد ذلك.

Upload by: altawhedmag.com

فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

والراجح أن الزبير كان لا يجزم بذلك، لكن وقع في رواية أم سلمة عند الطبري والطبراني الجزم بذلك وأنها نزلت في قصة الزبير وخصمه، وكذا في مرسل سعيد بن المسيب الذي تقدمت الإشارة إليه.

وجزم مجاهد والشعبي بأن الآية إنما نزلت فيمن نزلت فيه الآيات التي قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٠- ٦٤).

وروى إسحاق بن راهويه في تفسيره بإسناد صحيح عن الشعبي قال: "كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودي إلى حكامهم؛ لأنه علم أنهم يأخذونها، فأنزل الله هذه الآيات.

وروى الطبري أن حاكم اليهود يومئذ كان أبا برزة الأسلمي قبل أن يُسلم ويصحب. وروى عن مجاهد "أنه كعب بن الأشرف".

من فوائد الحديث:

أولًا: وجوب التحاكم إلى الله ورسوله، وترك التحاكم إلى الأهواء والأعراف الفاسدة.

ثانيًا: الرضا والتسليم لحكم الله ورسوله.

ثالثًا: للحاكم أن يَعْرِض الصلح أولًا فقد حكم النبي في البداية حكمًا يُصلح فيه بين المتخاصمين.

رابعًا: الاعتراض على رسول الله يترتب عليه حرمان من الخير وعقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

خامسًا: أن تغيير الحكم من النبي كان عدولًا عن الإصلاح الذي عرضه أولًا بالترغيب في الصلح ولو بتنازل أحد المتقاضيين عن بعض حقه إلى القضاء بالعدل.

سادسًا: من القواعد المستقرة في الفقه الإسلامي أن القاضي لا يقضي وهو غضبان؛ لئلا يجور في حكمه وقضائه، وأن هذا لا ينطبق على النبي؛ لأنه معصوم لا يقضي إلا بالحق.

سابعًا: من فقه الموارد المشتركة كالأنهار أن للأعلى حق الاستفادة من الماء أولًا، على ألا يُضيّع حق الآخرين في الماء.

ثامنًا: مياه الأنهار ملك لله عز وجل يسوقها حيث يشاء، ولا يملك أحد أن يتحكم فيها بالعطاء والمنع.

تاسعًا: الناس شركاء في ثلاث: منها الماء.

عاشرًا: من يمنع فضل الماء عمن يحتاج إليه لا يكلمه الله يوم القيامة وله عذاب أليم.

ولنا في ذلك حديث قادم إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

من دلائل النبوة
من فضائل الصحابة

عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خالد سيف من سيوف الله عز وجل، ونعم فتى العشيرة». وفي رواية عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين». (صحيح الجامع)

من نور كتاب الله
حال المسلم حتى يلقى الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى: «واصبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» (الكهف: ٢٨)

واحة التوحيد

حكم ومواعظ

قال الحسن البصري رحمه الله: "ما الدنيا كلها من أولها إلى آخرها إلا كرجل نام نومة، فرأى في منامه ما يحب، ثم انتبه".
(الزهد لابن أبي الدنيا)

من أقوال السلف

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بعلمه ثمنًا.
(سنن الدارمي)

من هدي رسول الله ﷺ
التوحيد والاعتصام بالله ينجي من الفتن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بادِرُوا بالأعمالِ فتنًا كقطعِ اللَّيلِ المُظلمِ، يُصبحُ الرَّجلُ مؤمنًا ويُمسي كافرًا، أو يُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، يبيعُ دينَه بعَرَضٍ من الدُّنيا» (رواه مسلم)

من فقه السلف

قال سعيد بن المسيب وقد ترك دنانير: «اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دَيْنه ويصل رَحِمه، ويكُفّ به وجهه»؛ أي: عن السؤال. (الآداب الشرعية)

Upload by: altawhedmag.com

من جوامع الدعاء

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهؤلاء الدعوات: "اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم والمأثم والمغرم". (صحيح مسلم).

من عقائد أهل السنة
علو الله واستوائه على عرشه

قال ابن أبي خيثمة في تاريخه عن سليمان التيمي قال: لو سئلت "أين الله"؟ لقلت: في السماء. وروى البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله -تعالى جل ذكره- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته.
(الأسماء والصفات للبيهقي)

إعداد/د. علاء خضر

من معاني الأحاديث

في حديث معاوية بن الحكم السلمي "فبأبي هو وأمي ما ضربني ولا شتمني ولا كهرني" (أخرجه مسلم)؛ الكهر: الانتهار. وقد كهره يكهره، إذا زجره واستقبله بوجه عبوس".
(النهاية في غريب الحديث)

من عقائد الشيعة الباطلة

من أقوال الشيعة التي تخالف فيها عقيدة المسلمين قولهم: بأن كربلاء أقدس بقعة في الإسلام، وأعظم من مكة والمدينة وبيت المقدس.
(كتاب: مصابيح الجنان، ص٣٦٠).

من حكمة الشعر

قال الإمام الشافعي -رحمه الله- في شروط طلب العلم:

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ
وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمان
(ديوان الإمام الشافعي)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور"؛ موضوع، مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُعرف له إسناد في كتب الحديث المعتمدة. ويُستدل به على طلب الغوث من الأموات عند الشدائد والحيرة وهذا من الشرك، وهذا من الشرك بالله. (اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية).

Upload by: altawhedmag.com

باب التراجم

الشيخ العلامة عبد الرحمن الوكيل (رحمه الله)
(الرئيس العام لجماعة أنصار السنة، سابقًا)

إعداد: أ. ربيع محمود

اسمه ومولده:

هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل، وُلد في قرية «زاوية البقلي»، مركز الشهداء بمحافظة المنوفية بمصر سنة ١٣٣٢هـ، الموافق الثالث والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩١٣م.

نشأته وتعليمه:

نشأ الشيخ عبد الرحمن الوكيل نشأة علمية، فكان والده رحمه الله من حملة كتاب الله، وشيخ البلد في زاوية البقلي، وقد حفظ ابنه الصبي عبد الرحمن القرآن في كُتّاب القرية، كما حفظ (الموطأ)، وكان هذا من شروط الالتحاق بالمعهد الأحمدي التابع للأزهر بطنطا.

وتخرّج في كلية أصول الدين بالأزهر حاصلًا على الإجازة العالية بتفوق، ثم حصل على إجازة التدريس.

وظائفه:

عمل الشيخ عبد الرحمن الوكيل أول تخرُّجه مع وزارة المعارف المصرية؛ فعُيّن مدرسًا للتربية الدينية بالمدارس الثانوية.

انتدب للتدريس بالمملكة العربية السعودية في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

شغل منصب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية فرع مصر القديمة، ثم اختير وكيلًا أولًا للجماعة بمصر.

وفي ٢٣ صفر ١٣٧٩هـ الموافق ١٩٥٩/٨/٢٧ تم انتخابه نائبًا لرئيس الجماعة الثاني الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله فكان له خير مُعين.

وترأس تحرير مجلة الهدي النبوي، وكان يكتب التفسير بها حتى توقفت.

انتخب رئيسًا عامًا لجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر بعد سفر رئيسها الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله إلى المملكة العربية السعودية، وذلك في ١٥ محرم ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠/٧/٩، فكان بذلك ثالث رئيس للجماعة بمصر. وانتخب نائبًا له

Upload by: altawhedmag.com

الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله.

واستمر على رأس إدارة الجماعة إلى أن أدمجت في الجمعية الشرعية، بعدها انتدب للتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة، وعمل أستاذًا للعقيدة بقسم الدراسات العليا إلى وفاته بمكة المكرمة، رحمه الله.

مؤلفاته وتحقيقاته:

«هذه هي الصوفية»، «البهائية: تاريخها، عقيدتها، وصلتها بالباطنية والصهيونية»، «دعوة الحق»، «الصفات الإلهية»، «صوفيات»، «زندقة الجيلي»، «الجيلي وكتابه الإنسان الكامل»، «من ضلالات الصوفية»، «سيد الخلق صلى الله عليه وسلم بشر»، «وسائل التوحيد»، «أثر التصوف في العقيدة»، «نظرات في التصوف»، «طواغيت»، «مفتريات»، «جمهرة المقالات»، «الصوفية وأثرها في العقيدة»، «عبر وذكريات»، «لمحات عن جهاد شيخ الإسلام بن تيمية»، «ديوان أشعاره»، «الصفات الإلهية بين السلف والخلف».

أما تحقيقاته وتعليقاته: «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي»، «إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية»، «مصرع التصوف، البرهان الدين البقاعي»، «ولاية الله والطريق إليها، لإبراهيم إبراهيم هلال (تقديم)»، «صراع بين الحق والباطل، سعد صادق (تقديم)».

وكان الشيخ رحمه الله شاعرًا مكثر الإنتاج في الشعر، وكان خطيبًا مفوهًا.

ثناء العلماء عليه:

قال العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله في مقدمة تحقيقه لكتاب «نقض المنطق»: «ثم وكلت إلى الأخ الفاضل المحقق عبد الرحمن الوكيل- وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية- عمل مقدمة له؛ لأنه متخصص في الفلسفة، وله بصر نافذ فيها، وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله».

وقال الشيخ محمد علي عبد الرحيم رحمه الله الرئيس العام السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية في مقدمة كتاب «دعوة الحق»: «كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحظ من اللغة، وجمال البلاغة، ووضوح المعنى، وسعة الاطلاع، وشرف الغاية، كما جمع علمًا مصفًى من شوائب البدع والخرافات، وكان حسن اللغة، قليل اللحن، فصيح العبارة، له اجتهاداته الواعية، وكان في ذلك نمطًا فريدًا».

قال الشيخ محمد صادق عرنوس رحمه الله: «إن أخانا الأستاذ النابغة عبد الرحمن الوكيل، المعروف بين قراء الهدي النبوي بهادم الطواغيت قد أصبح أخصائيًا في تشريح التصوف، والإحاطة بوظائف أعضائه، والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ ليُمرِّض، ويكون سببًا في الشفاء».

وفاته:

توفي الشيخ عبد الرحمن الوكيل بمكة المكرمة، في ٢٢ من جمادى الأولى ١٣٩٠هـ الموافق ٢ يوليو ١٩٧١م، ودُفن بمقابر المعلاة في الحجون، مخلفًا تراثًا علميًا ما بين التأليف والتحقيق يدل على مكانته العلمية العالية.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

Upload by: altawhedmag.com

التماثل بين الجزاء والعمل

د. محمد حامد حسن
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فمن الأصول العظيمة المستقرة في دين الإسلام: بيان أن الجزاء من جنس العمل خيرًا كان أو شرًا، وأنَّ العقوبة على قدر الإساءة، وأنَّ هناك تماثلا بين العمل والجزاء عليه، وقد جاءت آيات قرآنية كريمة تُقرِّر هذا المعنى وتجلِّيه، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: «وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» سورة الصافات: ٣٩.

والمعنى: إلا جزاء ما كنتم تعملون أو إلا مثل ما كنتم تعملون، لكنه حذف المضاف وهو الجزاء أو المثل، وأقام المضاف إليه مقامه؛ تنبيهًا على قوة التلازم والارتباط بينهما، وكأنهما شيء واحد، وإنما قُدِّر المثل أو الجزاء؛ لأن العمل قد ذهب ووقع، وبقي أثره، ولذا قال الشهاب الخفاجي في حاشيته (٢٦٧/٧) تعقيبًا على تقدير البيضاوي: "مثل ما كنتم تعملون: "لأنَّ الجزاء من جنس العمل لا عينه"، ويمكن أن يقال أيضًا: إن هذا من باب إطلاق السبب، وهو هنا العمل على المسبب، وهو الجزاء المماثل للعمل؛ لشدة التلازم بينهما. ونظير هذا أيضًا قوله سبحانه وتعالى: «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» سورة النحل: ١١١؛ فقوله: «مَا عَمِلَتْ» أي: جزاءَ ما عملت بطريق إطلاقِ

Upload by: altawhedmag.com

اسم السبب على المسبَّب إشعارًا بكمال الاتصال بين الأجزية والأعمال" (تفسير أبي السعود (٥/١٤٤)).

وقال تعالى: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» (سورة الرحمن: ٦٠)، ومن معانيها: «هل جزاء الإحسان في العمل، إلا الإحسان في الثواب» (البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(١٠/٧٠)).

هذه آيات عامة في تقرير هذه القاعدة العظيمة والأصل الكبير، وهناك آيات قرآنية أخرى خاصة بأعمال معينة جاء فيها الجزاء موافقًا للعمل، ومن جنسه ومن ذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ» (سورة المجادلة: ١١)، وقوله تعالى: «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (سورة الحج: ٤٠).

وقد قال العلامة ابن القيم: «قالوا: وقد دلّ الكتاب والسنة في أكثر من مائة موضع على أن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر» (تهذيب سنن أبي داود لابن القيم حاشية مطبوعة مع عون المعبود (١٢/١٧٦)).

وهذه القاعدة ينبغي الاستفادة منها في الحياة الاجتماعية، وأن نعلم أن بعض العقوبات حين لا تحقق الهدف المطلوب منها؛ فإن ذلك راجع غالبًا إلى أنها ليست مماثلة ولا متوافقة مع العمل الذي تسبب في حصولها، وصدق الله العظيم إذ قال: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» (سورة الشورى: ٤٠).

فإن قال قائل: قد نجد بعض أنواع الجزاء والعقاب في شريعتنا الإسلامية يزيد عن العمل، ولا يماثله مثل حد الزنا جلدًا لغير المحصن، ورجمًا للمحصن، وتخليد الكافر في النار مع أنه يعيش في الحياة مدة محدودة. والجواب عن ذلك: أنه لما «كانت لذة الزنا تعمُّ البدن جعل الله جزاءهم بعموم إهلاكهم» (فيض القدير لزين الدين المناوي (١/٢٦٦)).

فهذا الجزاء في حقيقة أمره لا يخرج عن كونه مماثلاً للعمل، ومن جنسه.

وكانت عقوبة الإصرار على الكفر والاستمرار عليه إلى الموت الخلود في النار؛ لأن الأعمال بالنيات، وهؤلاء في الدنيا على عزم ثابت، وكفر مستمر إلى ما لا آخر له لو مكثوا الدهر كله، فالجزاء في ذلك أيضًا من جنس العمل ومناسب له (نظم الدرر للبقاعي(٧/٢٦)).

والمتأمل في ارتباط الجزاء بالعمل ومماثلته له؛ لا يخطئه أن يقف على مقاصد عظيمة من ترتب الجزاء على العمل ومماثلته له، ومن هذه المقاصد تحقيق العدل والإصلاح؛ وبيان ذلك أن الله- جلّ ذكره- رتّب الجزاء على العمل، وجعله من جنسه، وهذا من أعظم مظاهر العدل بين الخلق، ولذا فقد نفى الله المساواة بين المحسن والمسيء في كتابه العزيز، وأنكر على من جعلهما سواء في الجزاء؛ قال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (سورة السجدة: ١٨)، وقال تعالى: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ» (سورة غافر: ٥٨)، وقال تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ

Upload by: altawhedmag.com

نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (سورة ص: ٢٨)، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (سورة القلم٣٥-٣٦).

وبيّن سبحانه أن الموازين يوم القيامة تقوم على العدل المطلق فقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٤٧).

ولأهمية العدل، وكونه سبيلًا لإصلاح أحوال العباد، واستقامة أمورهم؛ فقد أمرنا الله عز وجل بالعدل في الحكم بين الناس ولو كان ذلك مع أقرب قريب، أو كان مع أعدى الأعداء؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (سورة النساء: ٥٨)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (سورة النساء: ١٣٥)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (سورة المائدة: ٨).

ومن جهة أخرى فإن للجزاء الدنيوي على العمل أثرًا كبيرًا في إصلاح العباد، وتقويم سلوكهم، والانتباه من غفلتهم، ومن ثَمَّ كانت الحدود زواجر وجوابر، وكان التائب مأمورًا بالعمل الصالح والإصلاح؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة المائدة: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ٨٩).

ومن دلائل ذلك أيضًا أنه لما رغّب -سبحانه وتعالى- في العفو قرن به الإصلاح؛ إشارة إلى أن الإصلاح هو المقصد من ترتب الجزاء على العمل، فإذا تحقق مع العفو فلا حرج في العدول عن هذا الجزاء؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الشورى: ٤٠).

هذا، ومن المسائل المهمة في ارتباط الجزاء بالعمل وترتبه عليه: بيان أن ترتب الجزاء على العمل يتوقف على تحقق الشروط وانتفاء الموانع. وبيان ذلك: أن العمل الذي يصدر عن العبد دون قصد منه، ولا اختيار، ولا علم حقيقٌ بألا يتساوى مع العمل الذي صدر بقصد واختيار وعلم؛ ولذا فقد ذكر علماء الأصول شروطًا للتكليف: منها شروط تعود إلى المكلَّف، وأخرى تعود إلى المكلف به.

والقرآن الكريم قد نبّهنا إلى مراعاة ذلك عند الحكم على العمل وصاحبه؛ فقد يكون الإنسان أهلًا للتكليف لكن يوجد ما يمنع من ترتيب الجزاء عليه؛ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (سورة الأحزاب: ٥)؛ فالخطأ والنسيان يرفعان الإثم عن صاحبهما، وقد أجاب الله دعاء عباده: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦)؛ فقال الله عز وجل: «نعم»، وفي رواية: «قد فعلت» (صحيح مسلم حديث١٢٥، ١٢٦)).

ورفع الإثم لا يتنافى مع ترتب بعض الآثار الدنيوية على فعلهما؛ ولذا وجبت الدية في القتل الخطأ

Upload by: altawhedmag.com

بشروطها؛ وذلك لأن حقوق الخلق لا يُقبَل الاعتداء عليها ولو بالخطأ.

قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا﴾ (سورة النساء: ٩٢). ومن عظمة هذا الدين أنه حفظ حق أولياء المقتول، ولم يغلظ على القاتل خطأ؛ فجعل الدية على العاقلة ومؤجلة لثلاث سنين.

قال القرطبي: «ثبتت الأخبار عن النبي المختار محمد صلى الله عليه وسلم أنه قضى بدية الخطأ على العاقلة، وأجمع أهل العلم على القول به» (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٥/٣٢٠)).

وقال الترمذي: «وقد أجمع أهل العلم على أن الدية تؤخذ في ثلاث سنين، في كل سنة ثلث الدية، ورأوا أن دية الخطأ على العاقلة» (سنن الترمذي(٤/٦٦٠)).

وما أحوج أساطين علم الاجتماع وفحوله بشتى فروعه إلى الوقوف على هذه الأحكام الجليلة التي تراعي الحقوق، ولا تقضي لأحد على حساب الآخر.

وإننا لنجد في القرآن الكريم أيضًا الترخيص في النطق بكلمة الكفر -مع أنه في الأصل جرم كبير وذنب عظيم- عند وجود إكراه على هذا النطق؛ إبقاءً على النفس البشرية وحمايةً لها من التلف، ولم يرتّب الجزاء على هذا القول المنكر إذا كان القلب مطمئنًا بالإيمان؛ فقال تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل: ١٠٦).

ونجد في القرآن ما يدل على أنَّ العبد يكون معذورًا إذا لم تُقم الحجة عليه، ولم تنتف الجهالة عنه؛ قال تعالى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (سورة النساء: ١٦٥).

قال علاء الدين السمرقندي: «كون المأمور به معلومًا للمأمور، أو ممكن العلم به باعتبار قيام سبب العلم؛ شرط صحة التكليف» (ميزان الأصول في نتائج العقول لعلاء الدين السمرقندي(١/١٧١)).

وهذا يدعونا معشر المسلمين إلى التثبت وترك العجلة في إصدار الأحكام على أفعال الناس حتى نتحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

والله ولي التوفيق.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد ٢٢ ربيع الآخر ١٤٤٨هـ الموافق ٤ أكتوبر ٢٠٢٦ الشيخ إبراهيم حسن، من دعاة ورجال الجمعية بفرع محرم بك بالإسكندرية، ومجلس الإدارة وأسرة المجلة تسأل الله أن يعوض الفرع في فقيده خيرًا، وأن يربط على قلوب أسرته ومحبيه، وأن يسكنه الفردوس الأعلى.

الرئيس العام/ أحمد يوسف

Upload by: altawhedmag.com

فضائل الذاكرين لله تعالى

إعداد الشيخ / صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن الحرص على المواظبة على ذكر الله سبحانه وتعالى له ثمرات طيبة مباركة تعود على المسلم الذاكر في الدنيا ويوم القيامة. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) المواظبة على ذكر الله وصية الله للمؤمنين:

قال الله سبحانه وتعالى: (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (البقرة:١٥٢)، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما) (الأحزاب:٤١:٤٣)

(٢) ذكر الله تعالى سبب طمأنينة القلب:

قال الله عز وجل: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد: ٢٨)، وقال الإمام ابن كثير (رحمه الله) في معنى هذه الآية: تطيب النفس وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيرا. (تفسير ابن كثير- جـ٥. صـ٤٠٩).

(٣) ذكر الله تعالى طريق مغفرة الذنوب:

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة، حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر. (البخاري حديث ٦٤٠٥، ومسلم حديث ٢٦٩١).

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله، لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفورا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات. (صحيح الجامع- للألباني حديث: ٥٦٠٩)

(٤) الإكثار من ذكر الله وصية النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين:

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث: ٢٦٨٧).

(٥) الملائكة تحضر مجالس الذاكرين:

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله

Upload by: altawhedmag.com

عليه وسلم: لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده. (مسلم- حديث ٢٧٠٠).

(٦) الله تعالى مع الذاكرين بحفظه ورعايته:

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم. (البخاري حديث ٧٤٠٥، ومسلم حديث ٢٠٦٧).

(٧) ذكر الله تعالى خير من الدنيا وما فيها:

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس. (مسلم- حديث ٢٠٧٢).

(٨) الذاكرون لله تعالى هم أفضل المؤمنين:

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جُمدان، فقال: سيروا هذا جُمدان، سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله قال: الذاكرون الله كثيرا، والذاكرات. (مسلم- حديث: ٢٦٧٦). وقوله: (جُمدان): جبل منفرد بنفسه بين مكة والمدينة، ليس أمامه ولا بجواره جبل مثله. وقوله: (سبق المفردون): أي الذين انفردوا وتميزوا عن غيرهم بكثرة ذكرهم لله تعالى.

(٩) ذكر الله يجعل المسلم يكسب ألف حسنة كل يوم:

عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيعجز أحدكم أن يكسب، كل يوم ألف حسنة؟ فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة. (مسلم- حديث ٢٦٩٨).

(١٠) كثرة ذكر الله طريق النصر على الأعداء:

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (الأنفال:٤٥).

(١١) ذكر الله تعالى أحب الأعمال إلى الله:

عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل. (صحيح الجامع- للألباني- حديث: ١٦٥).

(١٢) نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في ذكر الله تعالى:

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه. (مسلم- حديث: ٣٧٣).

(١٣) ذكر الله يرفع درجة المؤمن في الجنة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها. (صحيح أبي داود- للألباني- حديث: ١٣٠٠).

(١٤) ذكر الله غراس الجنة:

عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث ٢٧٥٧).

(١٥) ذكر الله يجعل المسلم يستظل بظل عرش الرحمن يوم القيامة:

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. (البخاري- حديث: ٦٦٠).

(١٦) ذكر الله خير من التصدق بالأموال:

عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله. (صحيح الترمذي- للألباني- حديث: ٢٦٨٨).

(١٧) الإعراض عن ذكر الله سبب الشقاء في الدنيا والآخرة:

قال الله سبحانه وتعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) (طه:١٢٤-١٢٥).

Upload by: altawhedmag.com

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قعد مقعدًا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة. (حسرة وندامة) ومن اضطجع مضجعًا، لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة. (صحيح أبي داود- للألباني- حديث: ٤٠٦٥).

(١٨) ذكر الله حصن من وساوس الشيطان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه، فليستعذ بالله ولينته. (البخاري- حديث: ٣٢٧٦). وقوله: (فليستعذ بالله): أي: يعتصم بالله تعالى من وسوسة الشيطان بأن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وقوله: (ولينته): أي يتوقف التفكر في هذا الخاطر لئلا يستحوذ عليه الشيطان. ويجب على المسلم أن يلجأ إلى الله تعالى في دفع وسوسة الشيطان، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها. (فتح الباري- للعسقلاني- جـ٦- ص٣٤٠)

(١٩) ذكر الله يحفظك في المكان الذي تنزل فيه:

عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه قال: سمعت خولة بنت حكيم السلمية، تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من نزل منزلا، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك. (مسلم- حديث:٢٧٠٨).

(٢٠) ذكر الله تعالى طريق تفريج الكربات:

عن ابن مسعود، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما قال عبد قط، إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحا. (السلسلة الصحيحة- للألباني- جـ١- ص٤٩).

(٢١) ذكر الله فيه حياة للقلوب:

عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت. (البخاري- حديث ٦٤٠٧ ومسلم- حديث ٧٧٩).

عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت. (مسلم- حديث:٧٧٩).

(٢٢) ذكر الله تعالى ثقيل في ميزان حسنات المؤمن يوم القيامة:

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم. (البخاري- حديث ٦٦٨٢، ومسلم- حديث ٢٠٧٢).

(٢٣) ذكر الله سبب سعة الأرزاق للمؤمنين:

عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفًا، فأرسل إلى أزواجه يبتغي عندهن طعامًا، فلم يجد عند واحدة منهن، فقال: اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنه لا يملكها إلا أنت. قال: فأهدي إليه شاة مصلية (مشوية) فقال: هذه من فضل الله، ونحن ننتظر الرحمة. (السلسلة الصحيحة للألباني- جـ٤- صـ٥٧).

أقوال سلفنا الصالح في ذكر الله تعالى:

(١) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليكم بذكر الله، فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء. (الصمت لابن أبي الدنيا- صـ١٣٣).

(٢) قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها. (إحياء علوم الدين- للغزالي- جـ١- ص٢٩٥).

(٣) قال سعيد بن جبير رحمه الله: الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وقراءة القرآن. (حلية الأولياء- أبو نعيم الأصبهاني- جـ٤- ص٢٧٦).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

ما أيسره على اللسان وأثقله في الميزان!

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده: نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد: فلا ريب أن ذكر الله هو خيرُ ما أمضيت فيه الأوقات، وصُرفت فيه الأنفاس، وأفضل ما تقرَّب به العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، وهو مفتاح لكل خير يناله العبد في الدنيا والآخرة، فمتى أعطى الله العبد هذا المفتاح، فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله بقي باب الخير مغلقًا دونه. (الفوائد لابن القيم (ص ١١٧) بتصرف يسير).

فيبقى مضطرب القلب، مشوش الفؤاد، مشتت الفكر، كثير القلق، ضعيف الهمة والإرادة، أما إذا كان محافظًا على ذكر الله، فإن قلبه يكون مطمئنًا بذكره لربه: «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد: ٢٨). ولم يجعل الله لذكره حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، فقال تعالى: «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (الأحزاب: ٤١). قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. (تفسير القرآن العظيم (٣/٤٩٥)).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ساعة تمرّ بابن آدم، لم يذكر الله فيها، إلا تحسَّر عليها يوم القيامة». (صحيح الجامع (٥٧٢٠)).

والناظر في كتاب الله تعالى يجد أن الله تعالى أمر بالإكثار من ذكره؛ فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (الأحزاب: ٤١)، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» (الأنفال: ٤٥).

وقال تعالى لنبيه زكريا عليه السلام: «وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» (آل عمران: ٤١).

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ

Upload by: altawhedmag.com

ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٩) فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» (الجمعة: ٩-١٠). وقال تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا» (الأحزاب: ٢١).

ومدح الله المكثرين من ذكره وبين ما له من عظيم الأجر؛ فقال تعالى: «والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما» (الاحزاب: ٣٥).

فأمر الله تعالى بالإكثار من ذكره؛ وذلك لشدة حاجة العبد إلى ذلك وافتقاره إليه أعظم الافتقار، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله تحسّر عليها يوم القيامة، وكانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم، فلا يربح في غفلته عن الله ويندم على ذلك ندمًا شديدًا عند لقاء الله يوم القيامة. والله حذّر من الغفلة عن ذكره فقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون» (المنافقون: ٩).

وقال تعالى: «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» (طه: ١٢٤-١٢٦). وبيّن سبحانه وتعالى أن من أسباب الغفلة عن ذكره تسلط الشيطان على العبد؛ قال تعالى: «استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» (الحشر: ١٩)؛ وقال تعالى: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين» (الزخرف: ٣٦). وبيّن سبحانه وتعالى أن قلة ذكره من صفات المنافقين؛ فقال سبحانه وتعالى: «إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا» (النساء: ١٤٢).

وهذا نبي الله سليمان عليه السلام لما شغل بالخيل عن ذكر ربه تخلص منها؛ قال الله تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام: «ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (٣٠) إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد (٣١) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (٣٢) ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق» (ص: ٣٠- ٣٣). ونبي الله موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يُعينه بأخيه هارون على ذكره كثيرًا.

قال الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: «واجعل لي وزيرا من أهلي (٢٩) هارون أخي (٣٠) اشدد به أزري (٣١) وأشركه في أمري (٣٢) كي نسبحك كثيرا (٣٣) ونذكرك كثيرا (٣٤) إنك كنت بنا بصيرا (٣٥) قال قد أوتيت سؤلك يا موسى» (طه: ٢٩- ٣٦).

فذكر الله من أعظم المقاصد التي شرعت من أجلها العبادات؛ فالصلاة قال الله تعالى: «وأقم الصلاة لذكري» (طه: ١٤). وقال تعالى: «وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون» (العنكبوت: ٤٥). والحج قال الله تعالى: «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧) ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير» (الحج: ٢٧- ٢٨).

وقال تعالى: «فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين» (البقرة: ١٩٨). وقال تعالى: «فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق» (البقرة: ٢٠٠).

وقال تعالى: «واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون» (البقرة: ٢٠٣).

والمناسك قال الله تعالى: «ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين» (الحج: ٣٤). والصيام قال الله تعالى: «ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» (البقرة: ١٨٥).

وبناء المساجد قال الله تعالى: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال» (النور: ٣٦). وبعد انقضاء الصلاة قال الله تعالى: «فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما

Upload by: altawhedmag.com

وقُعودًا وعلى جُنوبِكُمْ فإذا اطمأنَنتُمْ فأقيمُوا الصلاة إنَّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا مَوْقوتًا» (النساء: ١٠٣). وبعد صلاة الجمعة، قال الله تعالى: «فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون» (الجمعة: ١٠).

وفوائد ذكر الله أكثر من أن تُحصر ولكن نذكر بعضها:

منها: أن ذكر الله يجلب لقلب الذاكر الرضا والطمأنينة، قال الله تعالى: «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب» (الرعد: ٢٨)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء). (الوابل الصيب: (ص ٨٥)).

ومنها: ذكر الله للذاكر، قال الله تعالى: «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون» (البقرة: ١٥٢).

ومنها: معية الله للذاكر:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم». (متفق عليه).

ومنها: النجاة من عذاب الله:

قال صلى الله عليه وسلم: «ما عمل آدمي عملًا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى». (صحيح الجامع (٥٦٤٤)).

ومنها: سبب لنزول الملائكة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده». (مسلم (٢٧٠٠)).

ومنها: مباهاة الله بالذاكرين

خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟». قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة». (مسلم (٢٧٠١)).

ومنها: عصمة من الشيطان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يحيى بن زكريا قال لبني إسرائيل: وآمركم بذكر الله كثيرًا، فإن مثل ذكر الله كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله». (صحيح الجامع (١٧٢٤)).

ومنها: حياة القلب:

قال صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت». (البخاري (٦٤٠٧)).

ومنها: إن الألسن ترطب بذكر الله:

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن أعرابيًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأنبئني منها بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله عز وجل». (صحيح الجامع (٧٧٠٠)).

ومنها: أن الذاكرين هم السابقون: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له: جمدان، فقال: «سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات». (مسلم (٢٦٧٦)).

ومنها: إن ذكر الله عز وجل هو أزكى الأعمال وخيرها وأفضلها عند الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من إعطاء الذهب، والورق، وخيرٌ لكم من

Upload by: altawhedmag.com

أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله عز وجل». (صحيح الجامع (٢٦٢٦)).

جلس عبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فقال عبد الله بن مسعود: (لأن آخذ في طريق أقول فيه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل)، فقال عبد الله بن عمرو: (لأن آخذ في طريق فأقولهن أحب إليّ من أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله)، وكذلك قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إن الذكر أفضل من الصدقة بعدده من المال. (جامع العلوم والحكم (ص ٢٢٥-٢٢٦)).

ومنها: النجاة من اللعن:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا». (صحيح الجامع (٣٤١٤)).

ومنها: مغفرة الذنوب:

قال صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قوم على ذكر الله فتفرقوا عنه إلا قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم». (صحيح الجامع (٥٥٠٧)).

ومنها: طيب المكان:

قال صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قوم، ثم تفرقوا عن غير ذكر الله، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إلا قاموا عن أنتن من جيفة». (صحيح الجامع (٥٥٠٦)).

ومنها: النجاة من عذاب الله:

قال صلى الله عليه وسلم: «ما عمل آدمي عملًا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله». (صحيح الجامع (٥٦٤٤)).

ومنها: أفضل عند الله:

قال صلى الله عليه وسلم: «ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام، لتكبيره، وتحميده، وتسبيحه، وتهليله». (صحيح الجامع (٥٣٧١)، معنى: (يعمر): يطول عمره).

ومنها: خير العمل عند فراق الدنيا:

قال صلى الله عليه وسلم: «خير العمل أن تفارق الدنيا، ولسانك رطب من ذكر الله». (صحيح الجامع (٣٢٨٢)).

هذا قليل من كثير: فيا عباد الله! أكثروا من ذكر الله إنه الرصيد الضخم الذي لا يعتريه النقص على مرور الأيام، فللصباح والمساء أذكار مسنونة، وللنوم واليقظة أوراد مشروعة، وللمحن ونزول الشدائد، ودفع الهمّ والغم، والحزن والقلق والفقر، ولكل أزمة يأمل المرء حلها أو كربة يطلب كشفها.

وهو خير ما يفارق عليه العبد دنياه، قال صلى الله عليه وسلم: «خير العمل أن تفارق الدنيا ولسانك رطبٌ من ذكر الله». (صحيح الجامع (٣٢٨٢)).

اللهم اختم لنا بـ(لا إله إلا الله)، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة ٢٧ ربيع الآخر ١٤٤٨هـ الموافق ١٩ أكتوبر ٢٠٢٦ الشيخ أحمد أمين السيسي، رئيس فرع أنصار السنة ببرطس مركز أوسيم بالجيزة، وقد كان الشيخ هو مؤسس الفرع والمتبرع بقطعة الأرض وبنائها، وإقامة مسجد ومجمع إسلامي من ماله الخاص.

وقد كان رحمه الله صورة طيبة لأنصار السنة ببرطس بالجيزة.

نسأل الله له الرحمة والمغفرة، ولأهله وأحبابه الصبر والثبات، ونسأل الله أن يخلف الفرع فيه خيرًا.

الرئيس العام/ أحمد يوسف

Upload by: altawhedmag.com



المغالاة في المهور خروج عن مقاصد الشرع

إعداد
د. أحمد زكي
نائب الرئيس العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن حفظ النسل وتكثير سواد المسلمين من أعظم مقاصد الشرع القويم، ولذلك شرع الله الزواج لتحصين الفروج، وتكثير النسل، وإقامة مجتمعات الطهر والعفاف، التي تسودها المودة والرحمة.

وجعل عقد الزوجية رباطًا مقدسًا، وسمّاه الميثاق الغليظ الذي يحفظ كيان الأسرة، وجعل الصداق أحد أركانه الجوهرية، التي تضمن حق المرأة، فهو حق شرعي لها وفريضة من الله، وهو وسيلة لتكريمها وتشريفها ورفع قدرها، لا ثمنًا لبيعها أو شرائها، وليس لأبيها أو زوجها أخذ شيء منه دون طيب نفس منها.

ولقد رغّب الشرع في تخفيف المهور، حتى ييسر الزواج على الشباب، وحذّر من المغالاة في المهور وتكاليف الزواج لما يترتب عليه من أضرار بالغة على المجتمع بأكمله.

أولًا: الترغيب في تيسير المهور، وثمار ذلك:

لقد رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في تخفيف المهر، وجعله علامة على يُمن المرأة وبركتها على زوجها، فقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من يُمنِ المرأةِ تيسيرَ خِطبتِها، وتيسيرَ صَداقِها، وتيسيرَ رحِمِها) (رواه أحمد)؛ أي: عدم التشديد في تكثير الصداق، وأن يستطيع الخاطب تحصيله من غير كدّ ومشقة.

Upload by: altawhedmag.com

وتخفيفُ المهور والنفقات: سببٌ للخيرات والبركات: قال صلى الله عليه وسلم: (وخيرُ الصَّداقِ أيسرُه) (مستدرك الحاكم). وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أعظمُ النِّساءِ بركةً: أيسرُهنَّ صداقًا) (مستدرك الحاكم).

يقولُ المُناوي في فيض القدير: (إذا تيسَّر النكاحُ: عمَّتْ بركتُه، ومَنْ يُسْره: خفَّةُ صداق المرأة، وتركُ المُغالاة فيه، وكذا جميع مُتعلَّقات النكاح منْ وليمة ونحوها).

يعلق ابن قدامة على هذا الحديث، في المغني، فيقول: «ويُستحبُّ أنْ لا يُغْلي الصَّداقَ». وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: «السُّنَّة: تَخْفيفُ الصَّداق، وألَّا يزيدَ على نساء النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم وبَناته».

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: "قوله: (أيسره مؤنة) فيه دليل على أفضلية النكاح مع قلة المهر، وأن الزواج بمهر قليل مندوب إليه؛ لأن المهر إذا كان قليلًا لم يستصعب النكاح من يريده، فيكثر الزواج المرغب فيه ويقدر عليه الفقراء ويكثر النسل الذي هو أهم مطالب النكاح، بخلاف ما إذا كان المهر كثيرًا، فإنه لا يتمكن منه إلا أرباب الأموال، فيكون الفقراء الذين هم الأكثر في الغالب غير مزوَّجين فلا تحصل المكاثرة التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم كما سلف في أول النكاح».

وسار المسلمون على هذه السنة فعمت البركة حياتهم، وكان هذا التيسير سببًا للخير.

وفي تيسير الزواج خيرٌ وبركةٌ للمجتمع كله، ففيه رحمةٌ بالزوج، وعدمُ إثقال كاهله بالدَّين؛ وفيه رحمةٌ بعامَّة الشباب، وإنقاذُهم من الفتن، وفيه تكثيرٌ لنسْل المُسلمين.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة؛ حيث جعل صداق ابنته فاطمة سيدة نساء الجنة رضي الله عنها، جعل صداقها درعًا حطمية، كما في الحديث عن علي رضي الله عنه قال: (قال: تزوَّجْتُ فاطمةَ رضيَ اللَّه عنه، فقال رسول الله: أعْطها شيئًا، قلتُ: ما عندي من شيء، قال: فأين درْعُك الحُطميَّةُ؟ قلتُ: هي عندي، قال: فأعْطها إيَّاهُ) (رواه النسائي)؛ فكان هذا الدرع مهرًا لها رضي الله عنها.

وهكذا كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في صداق بناته ونسائه رضي الله عنهن.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يؤكد على ذلك ويُبيِّنه، فقد قال: "ألا لا تغالوا بصُدُق النِّساء، فإنها لو كانت مكْرُمةً في الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها النَّبي صلى الله عليه وسلم، ما أصدق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من نسائه، ولا أُصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية) (رواه النسائي)؛

ولنا في هدي السلف الصالح رضي الله عنهم الأسوة والقدوة كذلك.

فهذه أم سليم رضي الله عنها، تجعل مهرها إسلام زوجها، فكان أكرم مهر في الإسلام، فعن أنس رضي الله عنه قال: "خطب أبو طلحة أمَّ سليم، فقالت:

Upload by: altawhedmag.com

والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرَدّ، ولكنّك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوّجك، فإنْ تُسلم فذاك مَهْري، وما أسألك غيرَه، فأسلم فكان ذلك مهرها، قال ثابت: فما سمعتُ بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أمّ سليم؛ الإسلام، فدخل بها فولدَت له) (رواه النسائي).

وهذا سعيد بن المسيب سيد التابعين رحمه الله، خطب ابنته الخليفة عبدالملك بن مروان لابنه الوليد، فأبى عليه، وزوّجها لتلميذه عبدالله بن أبي وداعة، وكان لا يملك إلا ثلاثة دراهم، فجعل صداقها درهمين اثنين.

ثانيًا: النهي عن المغالاة في المهور، لما يترتب عليه من مفاسد وأضرار:

فغلاء المهور سببٌ رئيس لقلّة الزواج، وكثرة الأيامى، وانتشار الفساد، والشهوات والرذائل، وانتشار الزنا، وانتشار العنوسة، وظهور الأمراض الاجتماعية والنفسية، والفقر وعدم البركة في الزواج.

كما أن المغالاة في المهور تجعل الزوجة كأنها سلعة تُباع وتشترى، مما يُخلّ بالمروءة، وينافي الشيم ومكارم الأخلاق.

ثانيًا: مفاسد التعسير والمغالاة في المهور:

العزوف عن الزواج: فارتفاع التكاليف والمبالغة في المهور يدفعان الشباب إلى تأخير الزواج أو العزوف عنه تمامًا.

- الوقوع في الديون: يضطر كثير من الأزواج إلى الاستدانة المرهقة في بداية حياتهم الزوجية، مما ينعكس سلبًا على استقرار الأسرة النفسي والمادي؛ حيث يشعر الزوج أن زواجه بهذه المرأة هو السبب المباشر لهذه الديون.

- انحراف المجتمعات: فقد تؤدى المغالاة في المهور إلى فتح الباب أمام المفاسد الاجتماعية والاخلاقية نتيجة انتشار العنوسة وتعطل الشباب عن إحصان أنفسهم.

- انتشار الزواج العرفي: قد يلجأ بعض الشباب إلى الزواج العرفي عندم يجد الطريق الشرعي مغلقًا أمامه، بل قد يقع في الحرام بزواج باطل بغير ولي ولا شهود.

- تحويل الزواج من عبادة إلى صفقة: ربط قيمة المرأة بمقدار مهرها يخالف النظرة الشرعية التي تقيم الإنسان بدينه وخلقه: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه». (رواه الترمذي).

ألا فلنتق الله في أولادنا، ونتّبع شرع ربنا وهدي نبينا صلى الله عليه وسلم، في تيسير أمور الزواج، فلا نُغالي في المهور، ولا نُسرف في تكاليف الزواج، ولا نبالغ في حفلات الزواج؛ لأن كل هذا يدخل في الإسراف المنهي عنه شرعًا، في قول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: ١٤١).

فيسّروا ولا تعسروا، فمن يسّر زواجًا فقد عسّر زنا، والتيسير وعدم المغالاة في المهور، هو مقصد الشريعة السمحاء، والمغالاة في المهور مخالف لمقصد الشريعة في التيسير، وفي إحصان الشباب، وتكثير نسل المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by: altawhedmag.com

الحلقة (٤)

الدرر الحسان في وصايا الصحابة ومن تبعهم بإحسان

إطلالة على وصايا الفاروق عمر بن الخطاب لجنوده وقبيل وفاته

إعداد: أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فاستكمالًا لما سبق عَرْضه من وصايا الفاروق، وما اشتملت عليه من دروس إيمانية وتربوية وسياسية؛ نقف في هذه الإطلالة على طائفة أخرى من وصاياه، تتعلق هذه المرة بقادة الجيوش والأجناد، ثم وصاياه الجامعة وهو على فراش الموت؛ لنرى كيف ظلَّ هذا الرجل إلى آخر لحظات حياته مشغولًا بأمر الدين، وحفظ الرعية، وصيانة الحقوق، وأداء الأمانة.. ولقد حفلت كتب التاريخ والأدب بجملة من الوصايا المنسوبة إليه في سياسة الجيوش والفتوح، ونذكر منها:

أولًا: التوصية بطاعة الله وأن بها يبدأ النصر:

ومن أشهر ما يُروى عنه في هذا الصدد؛ وأجَلّ ما نُقل عنه في سياسة الجيوش: وصيته إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد يوم القادسية، وفيها يُنبِّه على مبادي القتال ويُقرر أصلًا عظيمًا من أصول النصر؛ مؤداه: أن قوة المسلمين الحقيقية ليست في كثرة العدد والعُدَّة فحسب، وإنما في طاعة الله، وأن المعصية من أخطر أسباب الهزيمة، فقد كتب إليه يقول:

«أما بعد؛ فإني آمُرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال؛ فإن تقوى الله أفضل العُدَّة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم؛ وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله؛ ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عُدَدنا ليس كعددهم، ولا عدَّتنا كعُدَّتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لم نُنصر عليهم بفضلنا؛ لم نغلبهم بقوتنا».

ثم يقول فيما نسب إليه: «واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: (إن عدوَّنا

Upload by: altawhedmag.com

شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا)؛ فرب قوم سُلط عليهم من هو شرٌ منهم.. اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم».

ثم طفق ينتقل من تربية القلوب إلى فقه القيادة ورعاية الجند؛ فأوصاه بالرفق بهم وإراحتهم في المسير وإصلاح أسلحتهم وأمتعتهم، ثم بحقوق أهل الصلح والذمة، وجعل يقول: «فإن لهم حرمة وذمة ابتُليتم بالوفاء بها.. فما صبروا لكم فتولوهم خيرًا، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح».

ثم أوصاه بأصول الاستطلاع والحذر وحسن اختيار الرجال قائلا: «وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه؛ فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه، والغاش عينٌ عليك وليس عينًا لك، وليكن منكم عند دنوك من أرض العدو أن تُكثر الطلائع، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع عوراتهم - أسرارهم وأماكن ضعفهم - وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدوًا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد، ولا تخصَّ بها أحدًا بـ(هوى) فتضيِّع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك.

ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية، فإذا عاينت العدو؛ فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك؛ واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال؛ حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله؛ وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها؛ فتصنع بعدوك كصُنعه بك، ثم أذك أحراسك على عسكرك؛ وتيقظ من البيان جهدك، ولا تُؤتى بأسير ليس له عقد - عهد - إلا ضربت عنقه، لترهب به عدوَّ الله وعدوَّكم، والله وليُّ أمرك ومن معك، ووليُّ النصر لكم على عدوكم، والله المستعان».

وقد أورد ابن عبد ربه هذه الوصية في العقد الفريد (١/١١٧)؛ وهي وإن كان شهرها بلا إسناد، إلا أن معانيها العامة في التقوى والطاعة والعدل والرفق بالجند؛ موافقة لأصول الشريعة.. ويشهد لأصل معناها قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد: ٧)، وقوله سبحانه: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأنفال: ٤٦).

والناظر في هذه الوصية يجدها تكاد تكون دستورًا متكاملًا في أخلاق الجندية وسياسة الحرب؛ وهي وإن جمعت بين تقوى الله، واجتناب المعاصي، والرفق بالجند، وصيانة حقوق أهل العهد، وتحريم الظلم، وحسن اختيار الرجال، وجمع المعلومات عن العدو، والحذر من أهل الكذب والغش، والتثبت قبل المناجزة، فهي كذلك تربيةٌ للقلوب قبل أن تكون توجيهًا للسيوف.

ثانيًا: أخلاق الحرب في وصايا الفاروق:

ومما أورده ابن عبد ربه في العقد (١/٤٠)؛ أن عمر كان يقول عند عقد الألوية: «بسم الله وبالله، وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله، وما النصر إلا من عند الله ولزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبُنوا عند اللقاء، ولا تمثِّلوا عند القدرة،

Upload by: altawhedmag.com

ولا تُسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند شن الغارات».

وهي وصية وإن وردت أيضًا بلا إسناد، إلا أن كثيرًا من معانيها ثابتة في السنة الصحيحة؛ ولاسيما النهي عن الغدر والمُثلة وقتل النساء والصبيان.. وهي على أي حال؛ وصيةٌ ترسم صورة الجندية في الإسلام، فثمة قوة بلا عدوان، وشجاعة بلا وحشية، ونصر لا تنفلت معه النفس من قيود الشريعة.

ثالثًا: وصيته بحفظ الأسرار وعدم إفشائها:

وذلك قوله في واحدة من وصاياه: «اخزن لسانك ولا تفشين سرك»: فقد روى الطبري في تاريخه ٦٦/٤ وإبان حديثه عن فتوح العراق أن عمر قال لأبي عبيد بن مسعود الثقفي: «إنك تُقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية، تُقدم على قوم قد جرؤوا على الشر فعملوه، وتناسوا الخير فجهلوه؛ فانظر كيف تكون، واخزن لسانك ولا تفشين سرَّك؛ فإن صاحب السر ما ضبطه؛ متحصِّنٌ لا يُؤتى من وجه يكرهه، وإذا ضيعه كان بمضيعة».

وإنما تأتي هذه الوصيةُ في إطار (ضبط اللسان)؛ وتهدف إلى (حفظ الأسرار) وبخاصة في حروب الأعداء، وهما يمثلان ركنان لا محيد عنهما، ومن محاسن سياسة القادة.. وإلا فكم من جيوش أفسدت أمرها كلمة!؛ وكم من سرٍّ أضاعه لسان صاحبه!؛ ومن هنا كان ضبط اللسان وحفظ الأسرار من تمام الحزم، ولاسيما في مواضع الحرب والسياسة.

رابعًا: وصيته بعدم الاغترار بالحسب ولا بالنسب:

هذا، ومن أشهر وأنفس وصايا الفاروق: وصيته لسعد بن أبي وقاص حين ولاه حرب العراق، وفيها يقول: «يا سعد، لا يغرنك من الله أن قيل: (خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله)؛ فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسبٌ إلا طاعته.. فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء.. فانظر الأمر الذي رأيتَ النبي منذ بُعث إلى أن فارقنا؛ فالزمه».

ورُوي عنه في السياق ذاته قوله: «إني قد وليتُك حربَ العراق، فاحفظ وصيتي؛ فإنك تُقدِمُ على أمر شديد كريه، لا يخلص منه إلا الحق، فعوِّد نفسك ومن معك الخير واستفتح به، واعلم أن لكل عادة عتادًا، فعتادُ الخير الصبر، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك؛ يجتمع لك خشية الله».. وقد رواهما الطبري في تاريخه بـ(أخبار الفتوح)، وهو وإن لم يروهما بإسناد إلا أن المعنى الذي تحملانه عظيم.

إذ تقضيان بألا نسب بين الله وبين أحد من خلقه يغنيه عن طاعته، وأنه لا ينبغي أن تتحول السابقة والفضيلة والمنصب؛ إلى باب من أبواب الاغترار بالنفس.. كما تكشفان عن حقيقة منهج عمر القاضية بأن القائد أحوج الناس إلى تزكية نفسه ومراقبة ربه؛ لأن فساد القيادة يتعدى أثره إلى الأمة، كما أن صلاحها يمتد خيره إلى من وراءها.

خامسًا: وصيته عند موافاة ودنو أجله، وفي كفنه وقبره:

فإذا ما انتقلنا إلى الساعات الأخيرة من حياة الفاروق، ألفينا البخاري في صحيحه (٣٧٠٠) يحكي قصة مقتل عمر ووصيته بالمهاجرين والأنصار خيرًا، وفيها: أنه لما أيقن بدنو أجله لم تشغله جراحه عن أمته، فقد أوصى الخليفة من بعده بالمهاجرين الأولين خيرًا

Upload by: altawhedmag.com

قائلًا:

«وأوصي أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا، الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم: أن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مُسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا؛ فإنهم ردءُ الإسلام، وجباةُ المال، وغيظُ العدو، وألا يُؤخذ منهم إلا فضلُهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا؛ فإنهم أصلُ العرب ومادةُ الإسلام؛ وأن يُؤخذ من حواشي أموالهم ويُردُّ على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يُكلَّفوا إلا طاقتهم».

ويا لها من وصية جامعة!.. رجلٌ مطعون ينتظر الموت، ومع ذلك تتوزع عنايته بين المهاجرين والأنصار، وأهل الأمصار والأعراب، وأهل الذمة؛ فكأن همَّ الأمة وآلامها غلبت همَّ نفسه وآلام جسده، وكأن أمانة الرعية ظلت حاضرة في قلبه حتى آخر أنفاسه.. وهي وصية تكشفُ عن معدن ومنهج الفاروق في الرعية والسياسة؛ وأنا إذا وصلنا إلى آخر صفحة من حياته إذا بها لا تنفصل عن أولها.. تقوى لله، وعدل في الرعية، وشدَّةٌ في الحق، ورحمةٌ بالضعيف، وخوفٌ من الحساب، وتجردٌ من حظ النفس.

سادسًا: وصيته باستحقاق الخلافة لمن يطعن فيهم الروافض.. وبيان أنها أمانة لا ميراث:

ولما طُلب منه أن يستخلف؛ لم يجعل الأمر لابنه، ولم يحصره في بني عدي، وإنما قال كما في صحيح البخاري (٣٧٠٠): «ما أجد أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ».. فسمى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وابن عوف رضي الله عنهم.

ولا غرو؛ إنها الدولة التي اتسعت في عهده حتى تهاوت أمامها دولٌ وإمبراطوريات، ولم يرها مُلكًا يورِّثه ولدًا، وإنما رآها أمانةً للأمة، وهذا درس من أعظم دروس سيرته، ذلك أن الولاية في الإسلام تكليفٌ قبل أن تكون تشريفًا، وأمانةٌ قبل أن تكون سلطانًا.

وعند الموت تسقط الألقاب، وما يكون منه رضوان الله عليه إلا أن يُرسل ابنه عبد الله إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يستأذنها في أن يُدفن إلى جوار صاحبيه، وقال له: «انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: (يقرأ عليك عمر السلام)، ولا تقل: (أمير المؤمنين)؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: (يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه)».. فلما أذنت قال: «الحمد لله، ما كان من شيء أهمَّ إليَّ من ذلك»، ثم أمرهم إذا مات أن يستأذنوا عائشة مرة أخرى، وقال: «فإن أذنت لي فادخلوني، وإن ردَّتني فردُّوني إلى مقابر المسلمين، ولا تقل (أمير المؤمنين)»!

كلمة تهز القلب؛ فاللقب الذي ملأ الدنيا بالأمس أصبح عند بوابة الآخرة؛ لا يعني شيئًا.. إنه الآن عمر بن الخطاب العبد الفقير إلى ربه؛ لا أميرُ المؤمنين، ولا فاتحُ الأمصار، ولا الرجلُ الذي هابتْه ملوك فارس والروم، وعند الله لا تنفع الألقاب، وإنما ينفع صدق الإيمان وصالح العمل.

ولنتأمل مع كل ذلك خوفه من الله وعدم اغتراره بعمله، ذلك أنه لما دخل شاب يُثني عليه وهو على فراش الموت قائلًا له: «أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله، لك من صحبة رسول الله وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وُليت فعدلت، ثم شهادة»، لم يغتر عمر

Upload by: altawhedmag.com

بذلك كله، ولم يقل: (فعلتُ وفعلتُ)، وإنما قال: (وددتُ أن ذلك كفافٌ، لا عليَّ ولا لي)».

بل إنه وهو في تلك الحال رأى ثوب الشاب يمسُّ الأرض فقال: «ردُّوا عليَّ الغلام»، ثم قال له: «يا ابن أخي، ارفع ثوبك؛ فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك».. وسبحان الله!، فحتى وهو يودع الدنيا لم يترك الأمر بالمعروف، ولم تشغله سكرات الموت عن النصيحة.. فأيّ قلب كان يحمل هذا الرجل؟!

وكان قد سأل ربه خاتمة بعينها فاستجاب الله دعاءه؛ ففي البخاري (١٨٩٠) أنه كان يقول: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»، فمات شهيدًا في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودُفن إلى جوار صاحبيه، وليس العجب أن دعا عمر بذلك فحسب، وإنما العجب في الجمع بين أمرين قد يبدوان متباعدين: شهادة في سبيل الله، وموت في المدينة؛ فجمعهما الله له بقدره.

ولْنَدَعِ الإمام البخاري يروي لنا خبر الساعات الأخيرة.. فقد كان عمر إذا مر بين الصفوف قال: «استووا»، فإذا لم ير فيهم خللًا تقدم فكبر، وفي صلاة الفجر من ذلك اليوم، ما إن كبر حتى طعنه أبو لؤلؤة بسكين ذات طرفين، ثم اندفع يطعن من حوله حتى طعن عددًا من المسلمين، فلما ألقى عليه رجلٌ من المسلمين بُرنُسًا وعلم أنه مأخوذ؛ نحرَ نفسه، وهنا يأخذ عمر بيد ابن عوف ويقدِّمُه ليصلي بالناس صلاة خفيفة، ولما فرغوا قال عمر رضي الله عنه: «يا ابن عباس، انظر مَن قتلني»، فلما أخبره قال: «الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدَّعي الإسلام».. ثم حُمل إلى بيته، وأُتي بشراب فخرج من جرحه، ثم أُتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت.

ومع ذلك بقيت الأمة حاضرةً في قلبه، والخلافة في فكره، وحقوق الناس في وصيته.. يُروي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: «أنا آخركم عهدًا بعمر، دخلتُ عليه ورأسُه في حجْر ابنه عبد الله، فقال له: (ضع خدي بالأرض)، وسمعته يقول: (ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي)، حتى فاضت نفسه»، وقد رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

على أن هذا الخوف من عمر لا يعني قنوطًا من رحمة الله، وإنما هو خوفُ العارف بعظمة ربه، المستصغر لعمله، المشفق من تبعات الأمانة.. لقد كانت حياته نفسها فضلاً عن مماته؛ وصية، فمن وصاياه في ميدان الجهاد، إلى وصيته الجامعة عند الرحيل؛ كل ذلك إذا ما تأملناه وجدنا حياته كلها تنتظمها معانٍ أربعة؛ تقوى الله، والعدل في الرعية، وأداء الأمانة، والخوف من الحساب.

لقد ترك الفاروق وصايا كثيرة، غير أن آخر حياته كانت في ذاتها أعظم وصية؛ ألّا يغتر عامل بعمله، ولا عالم بعلمه، ولا صاحب منصب بمنصبه؛ وأن تبقى النفس بين الخوف والرجاء حتى تلقى الله تعالى.

رضي الله عن الفاروق عمر بن الخطاب، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.. والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com



الموت والحياة

إعداد
الشيخ / ابراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الإنسان يمر في حياته بعدة مراحل، أولها: مرحلة الخلق والتكوين، وذلك حين يكون جنينًا في بطن أمه ثم يخرج إلى الحياة طفلًا وليدًا، لا له سنّ يقطع ولا يد تبطش ولا قدم يسعى؛ فتتولاه رعاية الله حتى يصير شابًا فتيًا ثم رجلًا ثم كهلًا ثم شيخًا هرمًا.

ثم ينتقل الإنسان بعد ذلك إلى مرحلة النهاية والخروج من هذه الدنيا لينتقل إلى مرحلة أخرى ألا وهي مرحلة الحياة البرزخية في القبر، والتي لا يعلم طولها ولا مدتها إلا الله تعالى الذي يبعث الناس في الآخرة ليجازيهم عما قدمت أيديهم ليعيشوا بعد ذلك الحياة الأبدية؛ إما في الجنة حيث النعيم المقيم وإما في النار حيث العذاب الأليم؛ حيث يُؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيُذبح بين الجنة والنار ثم يُقال: «يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت». (البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري).

وقد جمع الله مراحل حياة الإنسان في هذه الدنيا ونهايته في آية واحدة حيث يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (غافر: ٦٧)، وبعد أن عدّد الله مراحل حياة الإنسان في هذه الدنيا قال تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي ربما يتوفى الإنسان جنينًا في بطن أمه أو في طفولته أو في شبابه، فليس للموت سن محدد، ولا تتوقف أسباب الموت على مرض الإنسان وصحته، فالمرضى يموتون والأصحاء كذلك يموتون، والأطفال يموتون والشباب أيضًا يموتون، حتى الأجنة في بطون أمهاتهم تلحقهم يد ملك الموت فتقبض أرواحهم، وكذلك الأنبياء والمرسلون والرؤساء والوزراء، الكل يفنى ولا يبقى إلا وجه الله عز وجل، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨).

فالموت حق على كل إنسان وقدر مكتوب وأجل محتوم لا يستطيع الإنسان أن يهرب منه ولا أن

Upload by: altawhedmag.com

ترده ولا أن يؤخره لحظة. قال تعالى: «نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين» (الواقعة:٦٠)، وقال تعالى: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (آل عمران: ١٨٥). فلا بد للإنسان من الموت ولا بد له أن يفارق هذه الدنيا؛ فهو ما جاء إليها إلا ليخرج منها.

وكما قلنا: فليس للموت سبب ظاهر، فبعض الناس يموت في المعارك وساحات القتال، والبعض يموت في الشوارع والطرقات، والبعض يموت في العيادات والمستشفيات، وبعض الناس يموت على فراشه وبين أهله، قال تعالى: «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا» (النساء: ٧٨)، ويقول تعالى: «قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» (الجمعة: ٨)، ويقول تعالى: «قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور» (آل عمران: ١٥٤)، وقيل: من لم يمت بالسيف مات بغيره، تعددت الأسباب والموت واحد.

والموت يأتي بغتة، وهو أقرب إلى أحدنا من شراك نعله وهو -أي: الموت- مرحلة انتقال من الدنيا والآخرة وذلك حين ينقطع اتصال الروح بالبدن فتخرج روح الإنسان من بدنه بعد أن كانت حالة فيه تمنحه الحركة والحس والكلام والسمع والبصر، فيصبح الإنسان بعد خروج روحه جثة هامدة لا ينطق ولا يتحرك ولا يملك من أمر نفسه شيئًا، بل إنه يحتاج إلى من يغسله ويكفنه، ويحمله ليصلى عليه ثم يواريه التراب، يقول تعالى: «قتل الإنسان ما أكفره (١٧) من أي شيء خلقه (١٨) من نطفة خلقه فقدره (١٩) ثم السبيل يسره (٢٠) ثم أماته فأقبره (٢١) ثم إذا شاء أنشره» (عبس: ١٧-٢٢).

والموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع، إنه كما عبّر عنه القرآن: مصيبة، قال تعالى: «فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين» (المائدة: ١٠٦)، هذه المصيبة لا تصيب الإنسان في ماله أو صحته أو حريته، ولكنها تصيبه في أعز ما يملك تصيبه في نفسه في وجوده واستمراره، وهذه المصيبة تنسي ما قبلها من المصائب، فالموت إذن مصيبة عظمى وطامة كبرى، وأعظم من الموت الغفلة عنه والإعراض عن ذكره وقلة التفكر فيه، وترك العمل من أجله، لذلك حث الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على كثرة ذكر الموت فقال: «أكثروا من ذكر هادم اللذات: الموت» (رواه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة وصححه ابن حبان).

وفي حديث ابن ماجه عن عبد الله بن عمر: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خُلقًا». قال: فأيّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس» (حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه).

وقيل في تفسير قوله تعالى: «ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين» (الملك: ٧). أي أكثركم ذكرًا للموت وله أحسن استعدادًا ومنه أشد خوفًا وحذرًا فكثرة ذكر الموت تورث الإنسان الزهد في الدنيا وتجعله يتطلع إلى الآخرة؛ لأنه يعلم أن حاله منقلبة بين الضيق والسعة والنعمة والنقمة، فإن كان الإنسان في حال الضيق والمحنة فإن ذكر الموت يُسهّل عليه ما هو فيه؛ لأن الموت أصعب مما هو فيه، وأما إن كان في حال السعة والنعمة فإن ذكر الموت يمنعه من الاغترار بالدنيا والركون إليها.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الموت هو الباب الذي يدخل منه الإنسان إلى عالم الآخرة، إنه أمر هائل رعظيم ولكن الناس عنه غافلون. والقرآن الكريم ذكر الكثير عن أحوال الموت وشدته، يقول تعالى: «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت

Upload by: altawhedmag.com

ويُرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» (الزمر: ٤٢)، ويقول تعالى: «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون» (السجدة: ١١). فالله سبحانه يخبر أنه يأمر بقبض روح الإنسان الذي انتهى أجله وانقطع رزقه فيقوم ملك الملك ومعه أعوانه من الملائكة بتنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى، وملك الموت وأعوانه من الملائكة لا يستطيعون قبض روح إنسان أو أي مخلوق إلا إذا أذن الله لهم بذلك.

وقد ذكر الله عز وجل لحظة الموت وشدتها في أكثر من موضع في القرآن الكريم قال تعالى: «فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون (٨٤) ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون» (الواقعة: ٨٣-٨٥). فحين تبلغ الروح الحلقوم فهي عندئذ في النزع الأخير تعالج سكرات الموت وتتهيأ لمغادرة الجسد حيث لا يقدر على إرجاعها أحد بعد أن أمر الديان بقبضها: «كلا إذا بلغت التراقي (٢٦) وقيل من راق (٢٧) وظن أنه الفراق (٢٨) والتفت الساق بالساق (٢٩) إلى ربك يومئذ المساق» (القيامة: ٢٦-٣٠)، إنها لحظات الكرب والشدة التي يحتار فيها الطبيب ويبأس فيها الحبيب، «وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد» (ق: ١٩).

واعلموا عباد الله أن الناس عند الموت فريقان: فريق أهل الإيمان والصلاح والتوحيد والعقيدة الصحيحة، الذين استقاموا على شرع الله فنفذوا أوامره وابتغوا رضاه فعبدوه عبادة خالصة من كل شك وشرك، فهؤلاء عند موتهم يبشرهم ربهم على لسان ملائكته: «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» (النحل: ٣٢).

قال ابن كثير: (أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء لذلك تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون» (فصلت: ٣٠).

وأما الفريق الآخر: ففريق الكفر والشرك وعبادة غير الله أصحاب القلوب المشتتة والعقيدة الفاسدة الذين عبدوا مع الله غيره ولجأوا إلى الموتى والمقبورين يرجون فيهم النفع والضر، هؤلاء حكى القرآن حالهم عند خروج أرواحهم فقال تعالى: «ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون» (الأنعام: ٩٣)).

فاستعدوا عباد الله للموت، وأعدوا له عدته، وجهزوا أنفسكم لاستقباله: فمع أن الموت هو الأمر الأفظع مع ما يصاحبه من شدة وأهوال: فإن شدة الموت تكمن في أنه يسفر عن حكم الله في العبد وهل هو-أي العبد- من أهل الجنة أم من أهل النار، ففي الصحيحين: «إن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشر بعذاب الله وعقوبته». وفيهما أيضًا: «إذا مات أحدكم عُرض عليه مقعده غدوة وعشية، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، ويقال: هذا مقعدك حتى تُبعث إليه يوم القيامة».

إن مجرد ذكر الموت يبعث في نفس مشاعر الخوف والفزع، فمصير كل إنسان إلى قبر أو حفرة يُوضع فيها ويُهال عليه التراب ليبقى وحيدًا فريدًا لا أنيس معه ولا جليس إلا ما قدمت يداه حتى يبعثه الله يوم القيامة، ومعلوم أن «القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه». قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه». (صحيح ابن ماجه حسنه الألباني).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحيينا على الإيمان، وأن يتوفانا على الإسلام، وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

Upload by: altawhedmag.com

الصوفية واللامعقول

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإن هذا الدين عزيز، وإن الله ناصره ومُظهره، والعاقبة لأهله. فينبغي لأمة الإسلام أن تتنبه للخطر العظيم القادم، وأن لا تساوم على شيء من دينها ومبادئها. وثمة ثوابت في ديننا لا يجوز عرضها للمساومة أو النقاش. والمقصود بالثوابت هو القطعيات من مسائل الاعتقاد ومواضع الإجماع التي أقام الله بها الحجة بينة في الكتاب أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا مجال فيها لتطوير أو اجتهاد ولا يحل الخلاف فيها لمن علمها.

إعداد الشيخ/مصطفى البصراتي

وينبغي للأمة أن تعيش واقعها، وأن تجند الطاقات للعمل الجاد المثمر النافع. وسوف نتعرض لبعض هذه الثوابت والمسلمات بشيء من الإيجاز. فمن ذلك: أن شريعة الإسلام موضوعة لإخراج المكلفين عن داعية أهوائهم حتى يكونوا عبادًا لمولاهم. قال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون». وقال تعالى: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين».

وإن الحجة القاطعة والحكم الأعلى إنما هو للشرع لا غير. فلا تحل معارضته بذوق أو وجد أو رأي أو قياس أو تجربة. وإن قواطع الشريعة تتمثل في نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة. والأصل في فهم الكتاب والسنة أن يكون على منهج السلف الصالح. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في بيان الفرقة الناجية: «ما أنا عليه وأصحابي». ولم يقل ما أنا عليه فقط. وقال الأوزاعي رحمه الله: «اصبر نفسك على السُّنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم».

ومن الثوابت: أن يكون الشرع حاكمًا غير محكوم، وقائدًا غير مقود، وموجِّهًا غير مُوجَّه. فمن مُسلَّمات الدين أن يكون الشرع مُحكَّمًا في كل القضايا العقدية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والمعاملات الشخصية وغيرها من القضايا. قال تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما». وقال تعالى: «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون».

ومن مسلمات الدين: الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين، وأن ذلك شرط في ثبوت عقد الإيمان. قال تعالى: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء»؛ يقول الطبري رحمه الله: «فليس من الله في شيء»؛ يعني بذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده ودخوله في الكفر.

ولا شك أن الإسلام منذ أن طلع فجره مُحاربًا، حُورب من قريش وسائر مشركي العرب، ومن اليهود والفرس والروم والتتر والصليبيين. وكتب الله النصر المؤزر للإسلام والمسلمين. وأذل الله المشركين والكافرين. ولكن الأعداء وإن خذلهم الله ما فتئوا يحيكون المؤامرات والدسائس، ويبثون دعاياتهم الضالة ضد الإسلام والمسلمين. فتعددت مقالاتهم وتنوعت مذاهبهم، وانتسب كثير منهم إلى الإسلام لأجل أن تروج عقائدهم ويتم لهم القضاء على الإسلام. لا سمح الله.

ومن أشدها فتكًا وأخبثها دعاية وأكثرها رواجًا دعاية المخرفين والقبوريين والصوفية المبطلين الذين لم يدخروا وُسعًا في نشر البدع والضلالات باسم الدين. والدين منها بريء. كما دعوا إلى عبادة القبور، وحسَّنوها للجماهير بشتى

Upload by: altawhedmag.com

الأساليب من بناء القباب الشاهقة عليهم وتزويقها ووضع الستور النفيسة عليها لجذب الناظرين والزائرين إليها، وأن تكون تلك القباب محل الدهشة والإعجاب. وجعلوا السدنة حولها ليطوفوا بالزائرين حول الضرائح ويعلموهم كيف يدعون الأولياء وينزلون بهم حاجاتهم. ومن اختراع حكايات سمجة عن القبور وكرامات مختلفة لا تمتّ إلى الصحة بنصيب. ومن إنشاء قصائد تطفح بالاستغاثات والنداءات التي لا تصلح إلا لخالق الأرض والسماوات. ومن تأليف كتب تدعو إلى عبادة الأنبياء والصالحين. سُبكت في قالب حُبّ الأنبياء والأولياء، وأنهم هم الشفعاء لنا عند الله والواسطة بيننا وبينه تعالى. ويعززون كلامهم بحكايات عن الصالحين ليس لها حظ من الصدق، وبأحاديث موضوعة كحديث «لو اعتقدتم بحجر لنفعكم». وبأقيسة فاسدة. وبما لا يدل على مطلبهم من آية أو حديث صحيح كما سنرى.

وعم هذا الداء الوبيل سائر الأقطار الإسلامية، ولم يسلم منه إلا القليل من عباد الله الصالحين والعلماء الذين عرفوا التوحيد الذي جاء به الأنبياء والمرسلون. فنتج من جراء تلك الدعايات الضالة المضلّة التي قام بها ونشط لها المبشرون بالضلال وعبادة غير ذي الجلال أن انخدع بها الأكثرون، وانصرفوا عن توحيد الإله العظيم، خالق الأنام، وتحمّسوا لها، وأخذوا يتقربون إلى قبور الأنبياء والصالحين. وتجاوز الأمر حتى تقربوا إلى الأشجار المنسوبة إليهم بأنواع النذور ودعائهم لكشف ضر نزل بهم أو طلب ولد أو رزق أو وظيفة أو مطر مما ليس في قدرة أحد إلا رب العالمين. وطافوا بقبورهم كما يُطاف بالكعبة المعظمة، وشدوا الرحال إليهم من الأماكن الشاسعة بقصد الحج لتلك المزارات البدعية كالسيد البدوي وغيره. وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأضرحة المقدسة عندهم حتى أنه قد تجتمع في خزائن بعض المقبورين أموال تُعدّ بالملايين.

وإنك لتجد الزحام حول تلك القبور واختلاط الرجال بالنساء وبكاء الكثيرين وصراخهم وعويلهم ودويّ أدعيتهم، كما تجد كثيرًا من مدعي العلم ومروّجي الضلال يُحسّنون لهم تلك الأعمال ويحضونهم على تلك المنكرات من أجل نَيْل الحطام، ويأتي أولئك الجهال هذه الشركيات والبدع والضلال باعتقاد أنها من صميم الدين، وأنها تقربهم إلى رب العالمين لكونهم مخدوعين بدعايات أدعياء العلم ورؤساء الضلال. وسادت الضرائح. والويل كل الويل لمن أنكر عليهم وأفادهم أن هذه الأعمال ليست من الدين بشيء، بل تنافيه، والدين منها بريء، وأن الواجب عليكم أن تفردوا ربكم بهذه العبادات التي تتقربون بها إلى هؤلاء الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فضلًا عن غيرهم.

سبب الشرك: الغلو في الصالحين

ومن هنا نعلم أن الشرك إنما حدث في بني آدم بسبب الغلو في الصالحين. ومعنى الغلو: الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد. ولهذا قال الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾؛ أي: لا تفرطوا في تعظيمه حتى ترفعوه عن منزلته التي أنزله الله، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله.

والخطاب وإن كان لأهل الكتاب، فإنه عامّ يتناول جميع الأمة، تحذيرًا لهم أن يفعلوا بنبيهم كما فعلت النصارى في عيسى، واليهود في عزير.

ولهذا ورد في الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله».

أي: لا تتجاوزوا الحد في مَدْحي، فترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله بها، كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الألوهية. وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصفوني كما وصفني ربي.

ولكن أبى الجاهلون والمخرفون إلا مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتكاب نهيه، فناقضوه أعظم مناقضة، وشابهوا النصارى في غلوهم وشركهم، وبنوا القباب والمساجد على

Upload by: altawhedmag.com

أضرحة الأولياء والصالحين، وصلوا فيها، وإن كان ذلك لله، لكن بقصد التعظيم للمقبورين.

وطافوا بقبورهم، واستغاثوا بهم في كشف الملمات وقضاء الحاجات، ورأوا أن الصلاة في أضرحة الأولياء أفضل من الصلاة في المساجد.

وقد ورد في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم، أي نزل به الموت، طفق يطرح خميصة له على وجهه، طفق أي جعل يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها. فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يُحذّر ما صنعوا. ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا. رواه البخاري ومسلم.

وجرى منهم الغلو في الشعر والنثر ما يطول عده، حتى جوّزوا الاستغاثة بالرسول وسائر الصالحين في كل ما يُستغاث فيه بالله.

ونسبوا إليه علم الغيب، حتى قال بعض الغلاة: لم يفارق الرسول الدنيا حتى علم ما كان وما يكون.

وخالفوا صريح القرآن في قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾، وقال تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾، وقال تعالى مخبرًا عن رسوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾، وقوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾.

وإذا علمتم أن الشرك حدث بسبب الغلو في الصالحين، وأنه إنما جاءت الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك. ولذا قالوا: ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾؛ أي: لنفرده بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا.

وهناك مسألتان: المسألة الأولى وهي مسألة حياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد موته. وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم في قبورهم أحياء يصلون ويحجون وينكحون.

فلم يرد ذلك في القرآن ولم يخرج أحد من العلماء المقتدى بهم حديثًا صحيحًا في ذلك. أي بأن حياة الأنبياء في قبورهم كالحياة الدنيوية المعهودة التي تقوم فيها الروح بالبدن. والذي ثبت في القرآن والسنة حياة الشهداء، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون لقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران ١٦٩). وأن حياتهم حقيقة لظاهر الآية. قال الجزولي: «وحياتهم يعني الشهداء غير مكيفة ولا معقولة للبشر». يجب الايمان بها على ما جاء به الشرع. ويجب الكف عن الخوض في كيفيتها؛ إذ لا طريق للعلم بها إلا من الخبر، ولم يرد فيها شيء يبين المراد.

ونبينا صلى الله عليه وسلم قد توفاه الله وقبضه إليه، واختار صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى. كما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة في قصة موته صلى الله عليه وسلم. ومن شك في موته فهو ضال مخالف لما أجمعت عليه الأمة. وكثير من الناس خصوصًا في هذه الأزمنة يزعمون أنه صلى الله عليه وسلم حي كحياته كما كان على وجه الأرض بين أصحابه. وهذا غلط عظيم، فإن الله سبحانه أخبر بأنه ميت لأنه صلى الله عليه وسلم لو كان في قبره حيًا مثل حياته على ظهر الأرض، لسأله أصحابه عما أشكل عليهم. قال عمر رضي الله عنه: «ثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن: الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا». رواه البخاري ومسلم. فهل جاء إلى قبره يسأله عما أشكل عليه؟ ومعلوم ما صار بعده صلى الله عليه وسلم من الاختلاف العظيم، ولم يجئ أحد إلى قبره ليسأله عما اختلفوا فيه.

وأما سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمن الدليل على أنهم ليسوا أحياء قوله صلى الله عليه وسلم: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي». وأما استدلال من قال بحياة الأنبياء بزعمه أن بعض الخواص رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته، فقد قال في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني: «قال شيخنا ردًا على من زعم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته: لم يصل إلينا

Upload by: altawhedmag.com

ذلك عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم، وقد اشتد حزن فاطمة رضي الله عنها عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدًا بعده بستة أشهر، وبيتها مجاور لضريحه الشريف، ولم يُنقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه». وقال في المواهب أيضا بعد أن ذكر من زعم رؤيته عليه الصلاة والسلام وساق من ذلك الحكايات الكثيرة كلها محمولة على المنامات والخيالات. قال: «وبالجملة فالقول برؤيته بعد موته بعين الرأس يقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزام خروجه صلى الله عليه وسلم من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره من جسده المقدس، فلا يبقى فيه منه شيء بحيث يُزار مجرد القبر ويسلم على غائب».

وأشار إلى ذلك القرطبي رحمه الله، قال: «هذه ضلالات لا يقول بشيء منها من له أدنى مسكة من المعقول، والملتزم بشيء من ذلك مختل مخبول. وقال الحافظ في الفتح بعد أن ذكر من زعم رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم في غفلة بعد موته، قال: وهذا مشكل جدًا، ولو حُمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابته، ولأمكن الصحبة إلى يوم القيامة. أما أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالذي ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنها طرية لا تبلى على طول المدى، وعود الروح إلى الجسد ثابت في الصحيحة لسائر الموتى لأجل سؤال الملكين في القبر فضلًا عن الأنبياء، وهذا العود للأرواح في الأجساد لا يلزم منه تسمية الموتى أحياء، إذن لو قلنا بذلك لم تختص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالحياة بعد الموت دون غيرهم.

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة الاستغاثة بالأنبياء والأولياء وأنهم يتصرفون في أمور الخلق وفي العالم، وقول من قال: إن ذلك جائز ومستحسن حتى بعد موتهم كحياتهم، وتجويزه قول: يا رسول الله أو يا فلان عند الشدائد. فهذا الكلام مردود بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا يُشكل فساده على من له أدنى مدخل في دين الإسلام، لأن الاستغاثة وهي طلب الغوث وهو إزالة الشدة عن المكروب وهي من الدعاء، والدعاء هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، وهذا لا يطلب إلا من الله، ولهذا أنكر الله على من يدعو أحدًا من دونه ممن لا يملك ضرًا ولا نفعًا، كقوله تعالى: ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله﴾ (الأنعام: ٧١). والآيات في ذلك كثيرة.

وقد أمر الله بدعائه في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ (الأعراف: ٥٥)، إلى قوله: ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾ (الأعراف: ٥٦). وقوله: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ غافر: ٦٠. فالدعاء بنوعيه دعاء المسألة ودعاء العبادة لا يصلح إلا لله؛ لأن الداعي يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل وغير ذلك.

وضابط هذا أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم بفعله يكون لله عبادة، وإذا صرف أحد من تلك العبادة شيئًا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله، مثل قوله تعالى: ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني (١٤) فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ الزمر: ١٤، ١٥. فليعلم أن المنتسب إلى الكتاب والسنة في هذه الأزمان قد يمرق من الإسلام بأسباب منها الغلو في بعض المشايخ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الألوهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني أو أغثني أو ارزقني، أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتاب ليُعبَد وحده لا شريك له ولا يُدعَى معه إله آخر، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة.

ومن أنواع الشرك: طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، فإن الميت قد انقطع عمله ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا فضلًا عن الاستغاثة بهم أو سؤاله أن يشفع له إلى الله. وأما قول القائل: إن للأنبياء والأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم على سبيل المعجزة والكرامة ويُستغاث بهم في الشدائد والمصائب، وبهم تُكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات، وجوزوا لهم الذبائح والنذور وأثبتوا لهم فيها

Upload by: altawhedmag.com

الأجور... فهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من مشابهة الشرك المحقّق، ومعارضة الكتاب المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما أجمعت عليه الأمة. وفي التنزيل قول الله تعالى: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» النساء: ١١٥.

وقولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم يرده قوله تعالى: «أإله مع الله» النمل: ٦٠. وقوله: «ألا له الخلق والأمر» الأعراف: ٥٤. وقوله: «لله ملك السماوات والأرض وما فيهن» المائدة: ١٢٠. ونحو ذلك من الآيات الدالة على أنه متفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير، وليس لغيره في شيء؛ فالكل تحت ملكه وقهره تصرفًا وملكًا وإحياء وإماتة وخلقًا.

وقد ذكر الله في آيات من كتابه أنه لا خالق غيره، ولا ملك سواه؛ كقوله تعالى: «هل من خالق غير الله» فاطر: ٣. وقوله: «والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير» فاطر: ١٣. وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة؛ قال جل ذكره: «كل نفس ذائقة الموت». وقال: «كل نفس بما كسبت رهينة» المدثر: ٣٨. وقوله: «كل امرئ بما كسب رهين» الطور: ٢١.

وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له». رواه الإمام أحمد ومسلم والبخاري في الأدب المفرد. فهذا يدل على انقطاع عمل المؤمن من زيادة أو نقصان، فدلّ ذلك على أنه ليس للميت تصرف في ذاته فضلًا عن غيره. فالحاصل أن الاستغاثة في الشدائد لا تصلح إلا لله كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر والطلب الرزق ونحوه، وأنها من خصائص الله سبحانه لا يطلب فيها غيره. فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو ملك أو روح أو غير ذلك تأثيرًا في كشف كربة أو قضاء حاجة فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو على شفا حفرة من السعير، وقد نهى صلى الله عليه وسلم أن يُستغاث به، وإنما يُستغاث بالله فيما رواه الطبراني. ففي هذا دليل على أنه كره أن يستعمل هذا اللفظ في حقه وإن كان فيما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد وسدًا لذرائع الشرك وأدبًا وتواضعًا لربه وتحذيرًا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال. فإذا كان قد نهى صلى الله عليه وسلم أن يُستغاث به في حياته، فكيف يجوز أن يُستغاث به بعد وفاته؟ وتُطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى كما جرى على ألسنة كثير من الناس من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء الذي له الخلق والأمر وحده وله الملك وحده لا إله غيره ولا رب سواه. قال الله تعالى: «قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله» الأعراف: ١٨٨. وقال سبحانه: «قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا» الجن: ٢١. إلى غير ذلك.

فأعرض هؤلاء عن القرآن واعتقدوا نقيض ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات، وتبعهم على ذلك الضلال الخلق الكثير والجمّ الغفير؛ فاعتقدوا الشرك بالله دينًا والهدى ضلالًا. فإنا لله وانا إليه راجعون.

فما أعظمها من مصيبة عمت بها البلوى! فعاندوا أهل التوحيد، وبدّعوا أهل التجريد؛ فإن الاستغاثة بما ليس من شأنه النفع ولا الضر من نبي أو ولي أو غيرهما على وجه الإمداد فيه إشراك مع الله؛ إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره.

والمقصود أن أهل العلم ما زالوا يُنكرون هذه الأمور الشركية التي عمّت بها البلوى، واعتقدها أهل الأهواء. فلو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الأمور الشركية لطالت هذه الكلمات. والبصير النبيل يُدرك الحق من أول دليل، فمن قال قولًا لا برهان عليه فقوله ظاهر البطلان مُخالف لما عليه أهل الحق والإيمان.

والله المستعان. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by: altawhedmag.com

الحلقة (١)

التبيان في عداوة الصوفية للأوطان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإن رفعة الأوطان ونهضة البلاد من مقاصد أهل الإسلام، كيف لا وقد ابتعث الله هذه الأمة لتُخرج العباد من الوثنية للإسلام، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العلم ومعرفة الشرع بالبرهان، ومن غيابات الجهل إلى المعرفة والعلو ونباهة العقل وتزكية الأركان.

إلا أنه قد ظهرت في الأمة بعد القرون الثلاثة الفاضلة نبتة دخيلة، وفرقة زائغة مقيتة، تبنَّت الجهل منهاجًا، والفقر عنوانًا، وتفريق الأمة أحزابًا، ونابذوا الأمة في عقيدتها، والشريعة في جوهرها، فلا حفظوا لنا شريعة، بل كانوا للعدو الذريعة وفي نحر الأمة فجيعة.

فلا ترى بدعة إلا وقدّسوها، ولا عقيدة فاسدة إلا ونشروها، وهذا حال أهل الضلال من المتصوفة المدّعين للزهد والفناء في كل الأحوال.

واليوم استشرت في بلاد الإسلام هذه النبتة الضالة، والفرقة المارقة والتي تدعي الإسلام ونصرة الأوطان، وهم أبعد الفرق عن الرفعة وعلو الشأن؛ فلا الإسلام نصروا ولا العدو كسروا، بل كانوا خنجرًا مسمومًا في نحر الأمة وسيفًا مسلطًا على رقاب أهل السنة.

وأعني بهم مَن خرج عن حدّ الإسلام، وظواهر القرآن، وقال بالبهتان، وادّعى الفناء والوجد والهذيان. فافهم مقصدي سلّمك الله من سوء الظن بأولياء الرحمن.

إعداد
د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

أما الخُلَّص الزهاد فهم بمنأى عن اللوم والاتهام، ففي الأوائل منهم أئمة يقتدي بهم أهل كل زمان: قال: أبو الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوي المصري (٦٨٥- ٧٤٨هـ) في بيان انحراف طائفة من الصوفية عن نهج الأوائل: «اشتُهر بين المتأخرين الذين أدرجُوا أنفسَهُمْ في الصوفيَّة أنَّ طريقهم مُباينةٌ لطريق الفُقهاء قولًا وفعلًا، فوقع بسبب ذلك تنافرٌ أوجبَ كلامَ بعضهمْ في بعض، ونحنُ نذكرُ من كلام أئمتهمْ والقدوة عندهُم، ما يُعرِّفكَ أنَّ التصوُّفَ اتِّباعُ السُّنَّة التي الفُقهاءُ يتَّصفُون بها، فذكرَ الأستاذُ أبو القاسم القُشيري-أحدُ شيوخهم الأعيان، والمُقتدى به في هذا الشأن- جملةً من مقالاتهمْ في التَّوحيد، وأصول العقائد في رسالته.

وقال: إنَّه إنَّما ذكرَها ليُعْلَمَ أنَّ عقائدَهم على وفق الكتاب والسُّنَّة، فلا نُطوِّلُ الكلامَ بذكرها. وذكرَ منْ أقوالهم ما نذكرُ بعضَه ليكونَ حجةً عليهم، فإنهم قدوتهم.

ثم ساق جملة من أقوال قدماء الصوفية: وقال: أبو حفص عمرُ الحدادُ: منْ لمْ يزنْ أحوالَهُ وأفعالَهُ في كُلِّ وقتٍ بالكتاب والسنَّة: فلا يُعدُّ في ديوان الرِّجال.

وقال أستاذُ الطائفة الجُنيدُ: «الطُّرق كلُّها

Upload by: altawhedmag.com

مسدودةٌ عن الخلقِ إلَّا من اقتفى أثرَ الرَّسول».
فهذا كلامُ مشايخِ الطريقة، ومن تُنسبُ إليهم المعرفةُ والحقيقةُ والمُتمثلُ قولهم عند الخليقة.
وفي الكتاب العزيز والسنة النبوية من تعظيم العلم الشرعيّ وحملته ما لا يخفى عن ذوي الألباب ولا يجحُده إلَّا أهل الحجاب.
والمنتسبون إلى التصوف أقسام:
قسم اتبعوا ما جاء في الشرع، ووقفوا مع ما قاله علماءُ السنة من أهل الأصل وأرباب الفرع، فهمُ الذين يستحقون التعظيمَ ويستوجبون التبجيل والتكريم.
وقسمٌ حصل لهم غلوٌّ في طريق ابتدعوها وعقائد اخترعوها، ووقفوا مع ألفاظ مزخرفة جمعوها، فأدخلوا في جُملة الكفار وحُكم عليهم باستحقاق النار.
وقد ذكر القاضي عياض في الشفا وغيره: وقسم غلب عليهم الجهل، والوقوف مع ما أحدث من رسوم، وتركوا النظر في المعارف والعوارف والعلوم؛ فاستحوذ عليهم الشيطانُ، وغلب عليهم الطغيانُ والعصيانُ. فاحتفلوا بالرقص والسماع والشهوات التي تثيرُها الطباعُ لا يقتفون شرعًا، ولا يجتنبون أمرًا بدعًا، فهم الأخسرون أعمالًا، «الذينَ ضلَّ سعيُهُمْ في الْحياةِ الدُّنيا وهُمْ يَحْسبُون أنَّهُمْ يُحسنُون صُنْعًا». (انظر: الموفي بمعرفة التصوف والصوفي).
إن الصوفية الذين خالفوا أئمة الزهد كالجنيد، بنوا قواعدهم على البدع وأصولهم على مجانبة السنن، ناهيك عن الضرر الحادث لهم في الوطن، فمن ظن أنهم حماة للوطن فقد ظن سرابًا، وقال بهتانًا، وادعى أمرًا محالًا.
وها هي نبذ مختصرة فيها البيان والتبيان لعداوة الصوفية للأوطان:

١ - الدعوة إلى الجهالة ونبذ العلم والتقليد على ضلالة

إن محور الخلاف مع الصوفية يتمثل في أمر هام ألا وهو مصدر التلقي عند الصوفية، فمصادرهم غير مصادرنا، وأصولهم قد باينت أصول أهل السنة؛ فقد قسموا الشريعة إلى قسمين والناس إلى فريقين، فابتدعوا بدعة تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وحتى يلبسوا على الناس باطلهم، واختلقوا ما يسمونه بالكشف والوجد والإلهام وجانبوا الشريعة والقرآن.
قال أبو حامد الغزالي في إثبات حجية الكشف والإلهام «مشكاة الأنوار» (ص٤٥)-: «في الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء».
ومن مصادر التلقي عندهم:
الكشف: ويعتمد الصوفية الكشف مصدرًا للعلوم والمعارف، بل تحقيق غاية عبادتهم، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملة من الأمور الشرعية والكونية منها:
النبي صلى الله عليه وسلم: ويقصدون به الأخذ عنه يقظةً أو منامًا.
الخضر عليه الصلاة السلام: قد كثرت حكايتهم عن لقياه، والأخذ عنه أحكامًا شرعية وعلومًا دينية، وكذلك الأوراد، والأذكار والمناقب.
الإلهام: سواء كان من الله تعالى مباشرةً، وبه جعلوا مقام الصوفي فوق مقام النبي؛ حيث يعتقدون أن الولي يأخذ العلم مباشرةً عن الله تعالى.
الفراسة: التي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها.
الهواتف: من سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، سواء كان منامًا أو يقظةً أو في حالة بينهما بواسطة الأذن.
الإسراءات والمعاريج: ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وجولاتها هناك، والإتيان منها بشتى العلوم والأسرار.
الكشف الحسي: والمقصود الكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر.
فالصوفية ينفرون أشد النفور من العلم عن طريق التعلم، ويُفضّلون ما يسمونه علم الكشف بلا واسطة، وهو ما عبّر عنه محيي الدين بن العربي حينما كتب إلى الرازي كتابًا جاء فيه: «إن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ، فإن كان علمه مستفادًا من نقل أو شيخ؛

Upload by: altawhedmag.com

فما برح عن الأخذ عن المحدثات، وذلك معلوم عند أهل الله عز وجل»، إلى أن يقول: «فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لا عن نظر وفكر وظن وتخمين».

ويقول الشعراني في هذا المعنى ناقلاً عن شيخه البسطامي: «وكان الشيخ كامل أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه يقول لعلماء عصره: أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتًا عن ميت وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت». (طبقات الصوفية للشعراني: ١/ ٥).

وفي الكتاب العزيز والسنة النبوية من تعظيم العلم الشرعيّ وحَمَلَته ما لا يخفى عن ذوي الألباب ولا يجحُدُه إلَّا أهل الحجاب.

٢- الدعوة لتفريق الأمة أحزابًا وفرقًا

الله تعالى أوجب على المسلمين أن يجتمعوا على دين الحق الذي هو الإسلام، وأن يعتصموا بكتاب الله تعالى، وأن تكون وحدتهم عليه، فعليه يجتمعون وبه يتحدون، لا بالقوميات والجنسيات، ولا بالمذاهب والأوضاع السياسية التي اخترعوها بأفكارهم القاصرة. قال تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (سورة الأنعام: ١٥٣).

وانظر إلى هذا العدد الهائل من الفرق والطرق الصوفية في مصر لتعلم حجم الشقاق والخلاف الواقع، فتتراوح الإحصاءات الرسمية للمجلس الأعلى للطرق الصوفية بين ٧٧ و٨١ طريقة معترف بها.

وكل طريقة لها شيخها، ووردها، وشريعتها، ومرجعيتها، وولاؤها، وبيعتها، وذكرها، ورقصها، وقبورها، وتمويلها، وخططها، وما تخفيه من أسرارها

وقد ذكر الشيخ أبو علي حسن بن علي العجمي الحنفي طرق الصوفية، فعدّ منها أربعين طريقًا في رسالة له، وقد لخّصها الشيخ أبو سالم العياشي في رحلته، وقد أوصلها غيرهم إلى أكثر من ذلك.

فالطرق الصوفية في العالم الإسلامي لا حصْر لها؛ إذ كل مَن عنَّ له أن يبتدع طريقًا فعَل، وسماها باسمه واسم قبيلته أو عشيرته، وهذا مُشاهَد بكثرة في إفريقيا؛ إذ بين فترة وأخرى تخرج طريقة جديدة تحمل اسمًا جديدًا، ولها أوضاع معينة وأوراد مقررة.

وذكر الدكتور صابر طعيمة ما مجموعه ٦٦ طريقة، وقال: «وأما الطرق الصوفية الحديثة فمن العسير تسجيل أسماء معظمها في كتاب، ويكفي أنه في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري قد بلغ عدد الطرق الصوفية في بلد واحد أكثر من مائة طريق». (انظر: فِرَق معاصرة لغالب عواجي: ٣/ ٨٩٤).

بالله عليكم! أهذا يُعدّ من المناقب، والمسلم الذي يريد الهداية أنّى له أن يعرف الحق؟! وكل هذه المسميات الحادثة لها طريقتها وعبادتها وشيخها، وهم مختلفون فيما بينهم.

٣- الدعوة للخروج على الأئمة لاعتقادهم البيعة لشيوخهم في الطريقة

أعجب عندما أرى هذا المنهج المعوج المصادم لنظام الدولة والأمة، يعلن بكل وقاحة بيعة لازمة وعهدًا جازمًا بالسمع والطاعة والولاء الكامل والعمل الدائم لطاعة شيخه ومتابعة قوله، ويسمح لهؤلاء بشقّ الصف والخروج من بيعة إمام الدولة إلى بيعات بدعية وعقود وهمية، بل زاد الأمر على مخالفة ولي الأمر حتى نصَبوا أنفسهم للتوسط بين الله وعباده في قبول التوبة، وأخذهم عليهم البيعة والعهد والميثاق بالطاعة لهم ولزوم الطريقة وخدمة الزاوية، ويفرضون مشيختهم على غيرهم بقولهم: "من لم يكن له شيخ، فالشيطان شيخه!! يريدون شيخ الطريقة الذي يُزار بالكراع والدينار، ويتشددون في التزام ميثاقهم، ويبالغون في الإنكار على من فارق طريقة إلى أخرى".

وليس لأحد بعد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأخذ البيعة على أحد بطاعته والتوبة إلى

Upload by: altawhedmag.com

الله؛ إلا أن يكون سلطانًا يقوم على جمع كلمة المسلمين وحفظ وحدتهم لإظهار قوتهم.

وفي "الحاوي" للسيوطي: "مسألة: رجل من الصوفية أخذ العهد على رجل، ثم اختار الرجل شيخًا آخر، وأخذ عليه العهد: فهل العهد الأول لازم أم الثاني؟ الجواب: لا يلزم العهد الأول ولا الثاني، ولا أصل لذلك" (١/٣٣٦).

فيخلع الصوفية على رؤسائهم ألقابًا دينية تماثل الألقاب العسكرية في الدول الحديثة، وكما خلع الفلاسفة صفات الإله على ما أسموه "العقل الأول"، وكما خلع النصارى صفات الإله على ما سموه "الكلمة"، فإن الصوفية جعلوا صفات الإلهية والربوبية على ما أسموه بالقطب والوتد. (انظر: هذه هي الصوفية: ص:١٢٤).

بل زاد الطين بلة أن جعلوا هؤلاء يتحكمون في الكون، ويديرون شؤون الخلق ويعلمون في ما في الجوف والحلق. فتسمعهم يقولون عليهم الأقطاب والأبدال والأوتاد... والقطب عند الصوفية هو أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية، أو الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان، عليه تدور أحوال الخلق، وقد يُسمَّى الغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه. وهذا القطب هو خليفة الله في الأرض، خلافة مطلقة جملةً وتفصيلًا، خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه ويقوم على شؤون الكون جميعًا ولهذا القطب أعوان، هم الأوتاد الأربعة، وقيل ثلاثة، كلما مات قطب الوقت أقيم أحدهم مكانه، ثم الأبدال وهم أدنى منزلة من الأوتاد، وفي عددهم خلاف.

ويخلع الصوفية على أصحاب هذه المراتب صفات الربوبية كالتصرف في الكون والإسعاد والإشقاء، والمنع والعطاء. (هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/٤٣٣- ٤٣٤): «أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل «الغوث» الذي بمكة، و«الأوتاد الأربعة»، و«الأقطاب السبعة»، و«الأبدال الأربعين»، و«النجباء الثلاثمائة»، فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى، ولا هي أيضًا مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح ولا ضعيف يُحمل عليه ألفاظ الأبدال. فقد رُوي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن فيهم -يعني أهل الشام- الأبدال الأربعين رجلًا؛ كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا».

وقد صنَّف أحد أئمتهم، وهو الحكيم الترمذي، كتابًا بعنوان «ختم الولاية».

قال أبو عبد الرحمن السلمي: «أخرجوا الحكيم من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب: «ختم الولاية»، وكتاب «علل الشريعة»، وقالوا: إنه يقول: إن للأولياء خاتمًا كالأنبياء لهم خاتم. وإنه يُفضِّل الولاية على النبوة، واحتج بحديث: «يغبطهم النبيون والشهداء». فقدم بلخ، فقبلوه لموافقته لهم في المذهب.

قال الذهبي: كذا تكلم في السلمي من أجل تأليفه كتاب: «حقائق التفسير»، فيا ليته لم يؤلفه، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، وتصوف الاتحادية، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة، قال الله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (سير أعلام النبلاء: ١٣/٤٤٢).

قلت: فانظر -رحمك الله- إلى هذه الضلالات! أخذوا العهد، ونابذوا أهل الولايات، ورفعوا أنفسهم لمنزلة فوق النبيين أصحاب البراهين والآيات، ثم زعموا أنهم تحكموا في الكون؛ فملكوا الأرض والسموات، فاللهم إنا نبرأ إليك من هذه الضلالات.

هذا وللحديث بقية، وصلِّ اللهم على محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

واقع.. ووعد

إعداد الشيخ/ محمد صفوت نور الدين
رحمه الله



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

يقول الله سبحانه: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...) (النور:٥٥).

إن الله لا يخلف الميعاد، والناظر إلى وجه الأرض اليوم يرى السواد الأعظم من المسلمين في بلادهم مهانين لا يستطيع الواحد منهم أن يعلن بإسلامه، وإن أعلن فإنما يعلن أنه ينتمي للإسلام اسمًا ولا يعلن تحكيم دينه الذي يعتنقه في شئون حياته، فلا يرى حكم الله في ماله ولا عرضه ولا وقته، ولا يرى حكم الله فصلاً في قضاياه وخصوماته مع الآخرين.

Upload by: altawhedmag.com

والناظر إلى حال المسلمين في آفاق الأرض اليوم يرى العداوة قد دبت بينهم، فهم يقتتلون من أجل سلطان زائل أو عرض من أعراض الدنيا.

إن أظهر الله الخير في بلادهم لم يتناصفوا في تقسيمه ولم يتراحموا في عطائه، إنما يقتتلون أيهم يفوز به.

فكيف بهم يوم يقع ما تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من مائة تسعةٌ وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو. فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا) متفق عليه.

ثم نعود فنقول: نحن أهل الإسلام والصلاة والعبادة لله رب العالمين ! لماذا لم يتحقق فينا وعد الله تعالى ؟ منهم من ينادي بوحدة الصف ويقول: بلاد الكفر قد توحدت، والسوق المشتركة قد تكونت، والاتحادات بين الدول قد أنشئت.

بينما دول الإسلام مهددة بالانقسام، فهذه إرتريا والصومال واليمن والعراق والسودان ومن قبل الباكستان والمغرب وقبل دولة الإسلام الكبرى التي تفتت دويلات. فلماذا كل هذا ؟!

ننظر إلى حال المسلمين مع أنهم يؤدون الصلاة، فالمنكرات والفواحش تملأ كل موقع عندهم إلا ما رحم الله، والله يقول في كتابه الكريم: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (العنكبوت: ٤٥).

قد أدينا الصلاة فلماذا لم تنته الفواحش والمنكرات من بلادنا ومن بيوتنا ؟ هل تخلف وعد الله الصادق معنا ؟

والجواب: (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) (لقمان: ٣٣): إذن فلماذا تخلف الوعد ؟ لك أن تنظر إلى هذا الرجل الذي جاء يقول: يا رسول الله إن أخي استطلق بطنه فقال صلى الله عليه وسلم: (اسقه عسلاً) فسقاه ثم جاء فقال: إني سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقًا. فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال: (اسقه عسلاً) فقال له: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا. فقال صلى الله عليه وسلم:(صدق الله وكذب بطن أخيك) فسقاه العسل فبرأ. متفق عليه.

فقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً) فسقاه العسل فبرأ يدلنا أنه إذا لم يتحقق وعدُ وعده الله الذي جاء في شرعه فالمتهم هم العاملون وليس الوعد، فإن وعد الله لا يتخلف أبدًا.

وهذا أبو أمامة يعرفنا بالوعد يتحقق كما جاء إذا كان منا العمل صحيحًا.

فقد أخرج أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة فقال: (يا أبا أمامة ما لي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة ؟) قال: همموم لزمتني

Upload by: altawhedmag.com

وديون يا رسول الله. قال: (أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك ؟) قال: قلت: بلى يا رسول الله.

قال: (قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني.

فهل يتدبر المسلمون قول أبي أمامة: (ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي...)

فأبواب الوعد يتحقق بها الوعد للعاملين ولا بد.

وهكذا وَعْدُ الله لا يتخلف، إنما هو أقرب مما نتصوره، إنما علينا نحن أن نكون مؤمنين عاملين.

والله سبحانه قد افترض علينا الفرائض، فإن أديناها حقق الله تعالى لنا وعده.

فإن لم يتحقق لنا ذلك فعلينا بالرجوع إلى أنفسنا ننظر الموانع، فإنه منها (صَدَقَ الله وكذب بطن أخيك).

علينا بالرجوع إلى أنفسنا والدخول على الله تعالى من أبواب الفرائض ثم من أبواب النوافل جبرًا لعجزنا وتقصيرنا عن فرائضنا.

فالله فرض الفرائض ودعانا للصدق فيها.

ثم شرع النوافل ووعدنا بقبولها وجعلها كمالاً لعجز الفرائض التي أديناها، ولم نكمل الصدق فيها بحضور القلب وإخلاص العمل والحرص على المتابعة، لذا كانت النوافل بعد الفرائض من رحمة الله سبحانه.

فعلينا الدخول من هذه الأبواب حتى يرضى عنا ربنا فيجبر عجزنا ويشفي مرضنا ويعيدنا إلى حظيرته فيتولانا مدافعًا (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب) فيتحقق لنا وعده سبحانه.

علينا أن نعلم أننا أوتينا من قِبَلِ معاصينا أُوتينا من قبل أنفسنا فالمعاصي هي سبب زرع الوهن في قلوبنا ونزع المهابة من صدور أعدائنا حتى نظروا إلينا فوجدونا فريسة سهلة المنال يمكن لهم أن يأخذوها بل لم يتعبوا أنفسهم في حربنا لأنهم وجدوا أننا قد تسلطنا على أنفسنا فصرنا نعطيهم خيرات بلادنا ونقتل لهم إخواننا وأنفسنا ونحل لهم ديارنا وأموالنا وأعراضنا، إن جاءوا إلينا فمكرمون، وإن تحاكمنا إليهم فأذلاء مخذولون.

فما الحل ؟ وما المخرج ؟!

إنه ليس إلا الصلح مع الله (**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**) (محمد:٧).

كما كان حال سلفنا الصالح خافوا الله فأطاعوه فأخاف منهم عدوهم، وجعل السلاح معهم على قلته فتاكًا وعددهم على ضآلته كبيرًا جرارًا فنصرهم بالرعب مسيرة شهر ؛ فالطاعة رأس مال كبير.

والمعصية وبال عظيم وهوان على الله ثم على سائر خلقه.

فاللهم ردنا طائعين ووحد على الإيمان قلوبنا وعلى الإسلام صفوفنا.

والله من وراء القصد.

Upload by: altawhedmag.com

زَوَاج الرَّسُول صلى الله عليه وسلم مِنْ أُمّ سَلَمَة رَضِي اللّه عَنْهَا

إعداد د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على أشرف الخلق، وخاتم الأنبياء، والمرسلين.

أما بعد: فنحن في هذا العدد على موعد مع يوم من أيام السعادة والوفاء في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ألا وهو يوم زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة رضي الله عنها.

ولقد كان هذا الزواج المبارك في شوّال من السّنة الرّابعة للهجرة.

وأم سلمة هي السّيّدة، المحجّبة، الطّاهرة، هند بنت أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّة، بنت عمّ خالد بن الوليد سيف الله؛ من المهاجرات الأول.

كانت قبل النّبيّ صلى الله عليه وسلم عند أخيه من الرّضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ، الرّجل الصّالح.

وكانت ولدت منه: سلمة، وعمر، وزينب، ودرّة.

وقد كانت أمّ سلمة رضي الله عنها موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرّأي الصّائب، وكانت من أجمل النّساء، وأشرفهن نسبًا. النبلاء (٢/٢٠٢)، وتاريخ دمشق (٣/٢١١).

وفي ذلك أحاديث:

منها عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنّها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة؛ فيقول ما أمره الله: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» اللهمّ أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها. قالت: فلمّا مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خيرٌ من أبي سلمة؟ أوّل بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ إنّي قلتها -في رواية ثمّ عزم الله لي؛ فقلتها- فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: أرسل إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له؛ فقلت: إنّ لي بنتًا، (وفي رواية: مصبية)، وأنا غيور؛ فقال: أمّا ابنتها؛ فندعو الله أن يغنيها عنها، وادعو الله أن يذهب بالغيرة. (صحيح مسلم: ٢٠٨٢ و٢٠٨٤).

ومنها عن أمّ سلمة أنها ذكرت هذا الحديث وقالت: وأنه ليس لي أحدٌ من أوليائي شاهدٌ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّا قولك: إني غيرى؛ فإني أدعو الله -عزّ وجلّ- فيذهب غيرتك، وأمّا قولك: إني مصبية؛ فإن الله -عزّ وجلّ- سيكفيك صبيانك، وأمّا أوليأؤك؛ فليس أحدٌ منهم شاهدٌ، ولا غائبٌ إلا سيرضاني؛ فقالت: قم يا عمر؛ فزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

Upload by: altawhedmag.com

فزوجها إياه، وقال لها: "أما إني لا أنقصك شيئًا مما أعطيت أختك فلانة رحيين وجرتين، ووسادة من أدم، حشوها ليف، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيها، وهي ترضع زينب، فكانت إذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذتها؛ فوضعتها في حجرها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حييًا كريمًا، ففطن لها عمار بن ياسر، وكان أخاها من الرضاعة.-وفي رواية أحمد وكان أخاها لأمها- فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يأتيها ذات يوم، فجاء عمار فدخل عليها، فانتشط زينب من حجرها، وقال: دعي هذه التي قد آذيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: فدخل، فجعل يقلب بصره في البيت ويقول: أين زناب؟ ما فعلت زناب؟ ما لي لا أرى زناب؟ قالت: جاء عمار فذهب بها، فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهله"، فأقام عندها ثلاثًا وقال لها: ليس بك على أهلك هوان، إن شئت سبعت لك، وإن سبعت لك، سبعت لنسائي. أخرجه أحمد (٢٦٦٦٩)، والنسائي (٨٨٧٦). وأبو يعلى (٦٩٠٧)، والحاكم (٦٩٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٦٥)، وقال ابن حجر: أخرج النسائي بسند صحيح. الإصابة (٤٠٥/٨) ثم ذكره مختصرًا، وصححه الحاكم والذهبي في الموضع المذكور.

وفي هذا الفصل من السيرة دروس مهمة:

١-استجباب قول هذا الذكر عند المصيبة.

٢-أن الله يستجيب دعاء من دعا بهذا الدعاء.

٣-بركة العمل بالسنة.

٤-جزاء الصبر على المصيبة.

٥-الصبر عند الصدمة الأولى.

٦-عظمة الرجل المؤمن في عين زوجته المؤمنة التقية.

٧- فضل السبق إلى الهجرة.

٨-التسليم للنص.

٩-تقديم النقل على العقل عند احتمال التعارض في الظاهر؛ حيث سلمت أم سلمة، وقالت ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠-رعاية المرأة لأبنائها بعد موت زوجها.

١١-وجود الغيرة بالقدر الجائز عند العاقلات الفاضلات من النساء.

١٢-الاستعانة بالله في أعمال القلوب حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل: أن يذهب بالغيرة. والمقصود ما زاد منها.

١٣-الرجاء، وحسن الظن بالله تعالى.

١٤- وجوب حضور الولي في النكاح للنساء عمومًا.

١٦-جواز كلام الخاطب مع مخطوبته فيما يتعلق بالحياة، واشتراط كل منهما على الآخر ما يناسبه من الشروط، ومناقشة كل منهما الآخر -ليتضح الحال- حال وجود الضوابط الشرعية، والله يقول «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

١٧-عظم التوكل على الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم ومنها.

١٨- في قولها "ثم عزم الله فقلتها"؛ أي: قضى وقدر لي أن أقولها، فقلتها. البحر المحيط الثجاج (١٥٣/١٨).

١٩-فيه أن توفيق الله للعبد في قوله وفعله سبب لنجاته.

٢٠-تصريح المرأة بما فيها من صفات قد تمنع من كمال الاستقرار الأسري؛ ليكون الرجل على بينة من أمره، ولذلك صرحت أم سلمة بما لديها من أبناء، وبما فيها من الغيرة الشديدة. وكذلك ينبغي للرجل أن يُصرّح حتى تكون المرأة على بيّنة من أمرها.

٢١- اختلف فيمن ولي زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من أم سلمة، فقيل عُمر بن أبي سلمة؛ وضعّفه ابن القيم؛ لأنه كان سنّه لما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، ويؤكده قوله رضي الله عنه كنت غلامًا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث رواه البخاري (٥٣٧٦). وقيل: زوّجها ابنها سلمة بن أبي سلمة رضي الله عنهم؛ قاله الذهبي في السير (٤٠٨/٣)، وقواه الحافظ ابن حجر في الإصابة.

وقد قيل: إن الذي زوّجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمها عمر بن الخطاب، والحديث "قم يا عمر؛ فزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ ونسب عمر، ونسب أم سلمة يلتقيان في كعب... فوافق اسم ابنها عمر اسمه. فقالت: قم يا عمر؛ فزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فظن بعض الرواة: أنه ابنها؛ فرواه بالمعنى، وقال: فقالت لابنها. وذهل عن تعذر ذلك عليه لصغر سنه؛ إذ كان له من العمر يومئذ ثلاث سنين؛ لأن رسول الله

Upload by: altawhedmag.com

صلى الله عليه وسلم تزوجها في سنة أربع ومات، ولعمر تسع سنين.

والحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتقر نكاحه إلى ولي، وهو ظاهر كلام أحمد وذلك من خصائصه. الإصابة (١٢٦/٣)، وزاد المعاد (١٠٤/١).

٢٢-وفيه أنه لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة أقام عندها ثلاثًا. ابن أبي شيبة (١٦٩٥٢)، وهكذا السُنة في الثيب إذا تزوجها على امرأة أو أكثر.

٢٣-جبر الخاطر، وتخيير المرأة، وبيان العذر؛ وان لم يكن واجبًا؛ لأنه أقام عندها ثلاثة أيام ثم بين لها السبب فقال: "إنه ليس بك على أهلك هوان، وان شئت، سبعت لك وان سبعت لك، سبعت لنسائي" صحيح أخرجه أحمد (٢٦٥٠٤).

٢٤-وفور عقل أم سلمة رضي الله عنها حيث احترزت بأن لها بنتًا، وأنها غيور-أي: شديدة الغيرة- مع أن الخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنظرها السابق ليس خيرًا من أبي سلمة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن مواقفها التي تدل على الفضل والعقل ما رواه المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم-رضي الله عنهما- في قصة صلح الحديبية في حديث طويل، ذكر فيه أنه لما تم الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم ومشركي قريش قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أيها الناس، انحروا واحلقوا)، قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها، فما قام رجل حتى عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فقال: (يا أم سلمة، ما شأن الناس؟ قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنسانًا، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره، واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلم أحدًا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون). فكان رأي أم سلمة-رضي الله عنها- رأيًا موفقًا ومشورة مباركة، قال ابن حجر: "واشارتها على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها".

٢٥- ثم إن أم سلمة-رضي الله عنها- من بني مخزوم أعز بطون قريش، وهي التي كانت تحمل لواء الحراب والمواجهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ووراء هذا الزواج نوع تآلف لهذه القبيلة، وتقريب لقلوب أبنائها، وتحبّب إليهم ليدخلوا في الإسلام بعد أن صاروا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢٦-وقد نالت أم سلمة حظًا وافرًا من أنوار النبوة وعلومها، حتى غدت ممن يُشار إليها بالبنان فقهًا وعلمًا، بل كان الصحابة يفدون إليها ويستفتونها في العديد من المسائل، ويحتكمون إليها عند الاختلاف، ومن ذلك أن أبا هريرة وابن عباس اختلفا في عدة المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها، فبعثوا إلى أم سلمة فقضت بصحة رأي أبي هريرة-رضي الله عنهم-.

٢٧- وبلغ ما روته من أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر الذهبي ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر حديثًا.

٢٨- وقد ظهرت في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم سلمة-رضي الله عنها- حكم كثيرة من حكم تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى ما سبق منها: الحكمة التعليمية، فقد كانت معظم مروياتها عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحكام والعبادات، وستر العورة، والجنائز، وحجاب المرأة، كما روت في المغازي وغير ذلك. وهو جزء من الحكم التشريعية والإنسانية والتعليمية التي اشتمل عليها تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم.

وفاة أمّ سلمة رضي الله عنها:

عُمّرتْ أمّ سلمة رضي الله عنها حتّى بلغها مقتل الحسين-رضي الله عنه-، الشهيد، فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيرًا، ولم تلبث بعده إلا يسيرًا، حتى ماتت عن تسعين سنة، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة إحدى وستين، وقيل: اثنتين وستين للهجرة في خلافة يزيد بن معاوية، وكانت آخر أمهات المؤمنين رضي الله عنها وفاة، ولها جملة أحاديث. وكانت تعد من فقهاء الصحابيات. سير أعلام النبلاء (٢٠٢/٢-٢١٠).

«ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم» (الحشر: ١٠)، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by: altawhedmag.com

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد





يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

١٥٠٠ جنيه

لفترة محدودة

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشترٍ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

لعام ١٤٤٣ هـ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by: altawhedmag.com

علم نافع لايستغني
عنها البيت المسلم

التوحيد



يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢



Upload by: altawhedmag.com